الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار–

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

الـدولة الإمامية في السنغـال

1770–1880م/1183–1297هـ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

– محمد بـلال – د/ الطاهر عبو

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
عبد الرحمان بعثمان	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة أحمد دراية –أدرار
الطاهر عبو	دكتور محاضر (أ)	مشرفاًومقرراً	جامعة أحمد دراية –أدرار
عبد الله بابا	دكتور محاضر (أ)	ممتحناً	جامعة أحمد دراية –أدرار

السنة الجامعية: 1441–1442هـ/2020–2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

عرفانا مني بالجميل لكل يد رحيمة امتدت إلي بالعون فكان هذا المولود و هذه الثمرة التي نتمنى أن تكون طيبة مباركة إنشاء الله .

إلى من ينطوي قلبي لذكرها لأنه لا يفي بحقها

إلى من القلب يهواها و العمر فداها و العين ترتاح لرؤياها ....

أمي الغالية حفظها الله

إلى من علمني الكفاح فكنت كما تمنى و يسر لي –و اليسر من عند الله- الطريق فكنت كما يريد فكان سبب عيشي و ينبوع الرحمة و الحنان .... أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى من تقاسمت معهم دفء العائلة ....إخوتي و أخواتي

إلى كل الأهـــــل و الأقـــــــارب

إلى كل من أشرقت حياتي لمعرفتهم إلى رفقاء المشوار الدراسي

إلى كل عزيز على القلب و لم يذكره اللسان

إلى كل هؤلاء أهدي ثمر ة جهدي.

كلمة شكر وعرفان

قال الله تعالى : ولئن شكرتم لأزيدنكم

قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله "حديث شريف "

أولا وقبل كل شيء أتقدم بالشكر الخالص لرب السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه، ولي الدنيا والآخرة، على توفيقه لي لإنجاز هذا العمل المتواضع بفضله ومنه علي أو الذي لولاه لما وصلت لهذه المرتبة ،راجيا منه ان يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم وان يفتح لي به طريقا إلى الجنة .

كما أتقدم بعميق الشكر وخالص التقدير والاحترام لكل من علمني حرفا منذ نعومة ا

أظافري،بداية بالكتاتيب مرورا بمحطات يملأها التعب والخوف والشوق والطموح والنجاح وصولا إلى هذا المولود المتواضع الذي رمته أيدي مخلصة وعقلا نيرا كما

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل "عبو الطاهر" الذي تفضل بالإشراف على انجاز هذا البحث وكان له العون في إعطائي التوجيهات والإرشادات الكافية ،إلى أعضاء اللجنة المناقشة، وإلى جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة أحمد دراية ادرار والشكر الجزيل إلى كل من ساهم في استفادتي منه بمعلومة ولو كانت قليلة في انجـاز هذا البحث.

قائمة الرموز والمختصرات:

المختصر	المعنى المقصود
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
ص	صفحة
ط	الطبعة
مج	مجلد
ص ص	تعدد الصفحات

الكلمات المفتاحية: السنغال . فوتا تورو . سليمان بال . الإمامية . الإسلام .

الدولة.

مقدمـــة

مقدمة:

شهدت القارة الإفريقية عامة، وغربها خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي، موجة من الحركات الإصلاحية لنشر الإسلام لطول الزمن، بعد انهيار الإم براطوريات الإسلامية الكبيرة في المنطقة، وإطباق الجهل على بعض المجتمعات في المنطقة، وك ذلك من باب الإسهام في إبراز الجوانب المضيئة للحضارة الإسلامية في إفريقيا عامة وغربها بشكل خاص و محاولتا مني لعرض التاريخ الصحيح لإفريقيا وبيان ماضيها العريق في الإسلام، وإبراز الجهود التي قام بها علماء المنطقة في نشر الإسلام الصحيح بين شعوبها؛ ارتأيت أن أختار حركة من تلك الحركات الإصلاحية ، وهي : حركة الشيخ سليمان بال بن راسين الإصلاحية، والدولة الأمامية التي أسسها في منطقة فوتا تورو، لتسليط الضوء على هده الدولة الإسلامية التي أدت دورا مهما في نشر الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي قبل الاستعمار الغربي للمنطقة.

ولإثراء هذا العرض نطرح الإشكال التالي:

- ماهو مدى عمق الأثر الذي تركته دولة الأئمة التي قامت في منطقة الجزء الأوسط من حوض نهر السنغال في وجدان وصيرورة المجتمع الفوتي الوريث لذلك المجتمع الذي عاش هذه التجربة على الصعيدين السياسي والعسكري؟

التساؤلات الفرعية :

- ماهي التحديات التي واجهتها هذه الدول؟

- ماهي الظروف التي نشأت فيها هذه الدولة؟

- ماهي الظروف التي ساهمت في نجاح هذه الدولة؟

دواعي اختيار الموضوع:

أ/-موضوعية:

- التعريف بمنطقة بوطا تورو.

- اثراء الرصيد المعرفي والفكري.

ب/- ذاتية:

- ارتباط الموضوع بالتخصص.
- التعرف على الحركات الإصلاحية في افريقيا وروادها.

وللإجابة على الإشكال اتبعت المنهج التاريخي لما يتناسب مع الأحداث التاريخية ووصفها، ولعرض هذا البحث المتواضع اتبعت خطة قوامها فصلين، الفصل الأول يتضمن اربعة مباحث للتعريف بمنطقة فوتا تورو أما الفصل الثاني تندرج تحته أربعة مباحث عنونته بالدولة الإمامية من التنظير إلى الممارسة .

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في أخد المعلومة واعتمدت على صاحبها عبر طرق التواصل عن بعد، نذكر منها كتاب دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال للمؤرخ محمد سعيد باه، كذلك كتاب زهور البساتين في تاريخ السوادين للمؤرخ موسى كمارا، مجلة قراءات افريقية 9723- العدد 9.

الصعوبات:

- وجود ومصادر مراجع مطبوعة وغير مرقمنة.
- بعض المصادر لم أتمكن من الحصول عليها إلا عن طريق التصوير عن بعد بالإستعانة ببعض الأصدقاء السنغاليين.

الدراساتالسابقة:

ـمجلة قراءات افريقية 9723- العدد 9

ـسيدي عبد المالك ،وقفة تاريخية مع فوتا تورو، موقع اسلام اون لاين، 10/5/2021.

المدخل

المدخل :

تقع السنغال في أقصى نقطة من غرب قارة إفريقيا. تحدها شرقا جمهورية مالي، وجنوبا غينيا و بشاو، و غربا المحيط الأطلسي، وشمالا موريطانيا. وتقدر مساحتها 198 000 كلم2. تجري عبر أراضيها نهر السنغال شمالا، ونهر كاسمنز جنوبا ونهر سين وسالم في الوسط. هذه الأنهار تنبع أهمها من جبال فوت جالون بغينيا وتصبة في المحيط الأطلسي.

التقسيم السياسي : كانت البلاد قديما تنقسم سياسيا إلى مقاطعات تتمتع الواحدة منها باستقلال ذاتي عن غيرها، وهي كلوف، كجور، والو، باول، سين سالم، كاسمنز، وتامباكندا، وفوت طورو. أما التقسيم الحالي فهو سياسي محض إقتضته ظروف البلاد الأمنية المنبعثة من الحركة الإنفصالية المسلحة من جماعة (جولا) القريبة عرقيا من قبائل سرير المنتشرة في بعض المناطق.

المناخ : مناخ بلاد السنغال قاري صحراوي جاف في بعض مناطقها، ورطب في بعضها، ويميل إلى الاعتدال في السواحل الممتدة من مدينة سانتلويس شمالا ودكار غربا إلى غينيا جنوبا على طول 1000 كلم تقريبا.

الثروة الغابية والبحرية : يمر بالمياه الإقليمية السنغالية التيار البحري الدافئ، ويجعل من شواطئها ملجأ لمختلف أنواع الأسماك تهجر إليها للتدفئة والتكاثر، الشيئ الذي يدفع بكبار الأسماك إلى تتبع آثار الهجرة لتأمين حياتها وغذائها من الأسماك الأقل شأنا، وفقا لقانون البحر والطبيعة.

كانت الثروة السمكية قبل الاستقلال هائلة متوفرة ولكنها بسرعة البرق تضاءلتواستفزت بسبب الإهمال وسوء الاستغلالوضعف وسائل الحماية البحرية وعبث سفن الصيد من الدول التي أبرمت اتفاقياتومعاهدات صيد واستغلال الثروات البحرية، هذه أحدثت فسادا كبيرا في البحر وأسوأ منه في البر والغابة لنفس الأسباب. وقد اندثرت معظم النباتات الطبيعية، والرعوية، والغذائية وكانت تشكل ثروة هامة ومفيدة في معركة التنمية وتطوير مختلف قطاعات البلاد. وماتت مع نبات الغابةالفيل والأسود والنمور والفهود والضبع و التماسيح والقرود والحيات والحمر الوحشية والغزالات جراء القحط والجفاف المزمن وارتماء السلطة في الملذات

والدفاع عن الثقافة المستوردة التي أصبحنا عبيدا لها نضحي بأرواحنا فداء لها وعن عالميتها وخلودها.

حاولت السلطة السياسية أن تنقذ الموقف بوضع خطط واتخاذ إجراءات مناسبة الحماية الثروات برا وبحرا، ولكنها تمنى دائما بالفشل جراء الإهمال.

فالمقاولات والوحدات الصناعية التي أنشئت لاستغلال البقية من الثروة الغابية والبحرية و المنتجات الزراعية كلها فشلت وأفلست وسدت أبوابها.

إن الخطط التنموية الاقتصاديةوالصناعية التي وضعت لاتعتمد على الزراعة لذلك لن يكتب لها نجاح ومصيرها الحتمي هو الفشل، علما بأن الدولة تقدم بالخطب السياسية والأطروحات اللغوية والأدبية والشهادات والنظريات المجوفة.

السكان : يتراوح سكان السنغال حاليا بين عشرة ملايين أو تسعة، موزعة على مساحتها توزيعا غير معتدل بسبب العوامل المناخية البيئية، ومركزية الإدارة وتوجد المرافق الوزارية في العاصمة فقط وهكذا توجد 90% من المصانع والمعامل والورشات والمقاولات الكبرى في المدن الآهلة بالسكان مع الوزارات والمتاجر وأدوات الإنتاج. هذه الأسباب وغيرها دفعت بسكان الأرياف والمزارعين إلى الهجرة والنزوح نحو المدن لضمان لقمة العيش، بمزاولة المهن والحرف البسيطة والتجارة التفصيلية.

فالسنغال يعد حاليا حسب الإحصائيات العالمية من أفقر بلاد العالم، ولايتجاوز مستوى معيشة الفرد نصف دولار في اليوم.

الأصول: يتكون شعب السنغال من قبائل شتى تنحدر من أصول مختلفة. وقد وصلت معظمها من نوبة والحبشة والصومال وشرق ووسط إفريقيا ، إثر الحروب والظروف التي تفرض الهجرة : كالجفاف، والأوبئة، العوامل التي تدفع إلى التنقل والارتحال. وقد وصلت موجات البشر في ظروف وتاريخ غير مضبوطة لأن اللغة والكتابة لم تكن حينئذ موجودة. و أكثر المجموعات عددا في الوقت الحالي هي فصيلة ولف، وهم مسلمون 100% تقريبا كما يتكلم بلهجتها معظم سكان البلاد، وتليهم قبائل البولار) ثم قبائل (سرير) التي تتدين بعضها

بالمسيحية لبعدها عن المراكز الإسلامية، وشدة تأثرها بالسلطة الإستعمارية وكونها وثنية عند الإحتلال ولايزال بعضهم في الوثنية حتى الآن.

تعيش هذه القبائل بالزراعة أساستا، أما البولار، فهم رعاة رحل، قليل منهم يعرفون الاستقرار مثل فصيلة توكرور، ويشكلون الحدود البشرية في بشرتهم وأخلاقياتهم وتصرفاتهم، ويحملون سمات وطبائع وملامح البيض والسود، وهم أكثر القبائل تعلقا بالعادات والتقاليد والأعراف كما أنهم متشتتون في مختلف دول إفريقيا. تليهم قبائل الماندغ العريقة والمتشتتة مثل البولار لكن في دول غرب إفريقيا فقط. أما جماعة (الجولا) وهم قربى قبائل سرير، فإنها تثور ضد وحدة البلاد، وتقوم بحركة مسلحة ضد السلطة. وبحرب عصابات في كل الجهات قصد الحصول على الاستقلال. هذه الجماعة تحتل نصف مساحة إقليم كاسمانز، وأفرادها لاتتجاوز نصف مليون نسمة، والعوامل التي دفعتها إلى الثورة هي : إهمال السلطة السياسية عن اتخاذ إجراءات مناسبة لتنمية الإقليم وعدم إقامة منشئات ومرافق حيوية عمرانية بها، زد على ذلك التخلف والشعور بالنقص، والعصبية الصليبية والعقلية المسيحية الغريبة المهانة لدى الأغلبية المسلمة، فهم يشعرون بالغربة في عقر دارهم لأسباب دينية، ثقافية، إستعماريةلاقبل لهم بها، وليست ثمة بارقة أمل في الوصول إلى حل لهذه العقدة المستعصية. فالحل ليس بيد النظام الحالي، لأنه سبب قيام الحركة وتفاقمها، والمسؤلة عن ضحاياها البشرية والخسارة المادية.

تعيش جماعة (جولا) بجانب قبائل ماندغوالبولار منذ قرون تعايشا سلميا. ويعتبرون أقل الجماعات عددا وتقدما، وثقافة، ونشاطا، وإنتاجا، وتفتحا، وهي منطوية على نفسها، ولا تقبل التغيير والتطور والإزدواجو التبادل.

أما قبائل الماندغ فهي من أعرق وأقدم الجماعات وصولا، وهي أول من أنشأت دولا، ونظاما جماعية وأمبراطوريات وممالك، مثل دولة غانا التي أنشأها قبائل سونيكي، إمبراطورية مالي، وكانت تضم دولة مالي حاليا، والسنغال، وغينيا، وبشاو، وجزءا هاما من نيجر وموريطانيا، وساحا العاج وهوت فولتا (ركنا). وقد انتشرت الماندغ بعد سقوط دولهم في مختلف أقطار الإمبراطورية، وتشتتوا مثل البولار تقريبا.

الوحدة السياسية : لم تعرف منطقة غرب إفريقيا قبل الإحتلال الفرنسي وحدة سياسية إلا في ظل دولتي غانا ومالي، وقد انقسمت بعدها إلى ممالك مستقلة عن بعضها بدءا من وفاة الملك ورجاب الملقب بأبي الدرداء سنة 1053م. وقد حاول الملك أنجاجانجاي مؤسس مملكة جلوف توحيد البلاد ولكن محاولاتها لم تعش إلا مدة يسرة، وقد انهار صرح دولة جلوف إثر ثورة الأمير أمركون سوبل "ميل تيج"الذي قتل الملك لالافوجوگا، إثر معركة جمعتهما سنة 1555م، وبعدها إستقلت جميع أقاليم البلاد التي كانت تابعة لجلوف، وقامت على أنقاضها دولة الفولانيين، ودولة سلتك، ثم الألمامية التي انقرضت بموت الأمير عبد القادر كان غيلة من رجال ترارسة البيض سنة 1881م، وسادت فترة الفوضى إقليم فوت طورو حتى هجم عليها سلطات فرنسا واستولت عليها بالقوة وضمتها لباقي أجزاء مستعمرة سنغال سنة 1891م.

ومن هذا التاريخ بدأت حركات المقاومة ضد قوات الاحتلال بقيادة ملوك وزعماء دينيين أمثال شيخ عمر فوتي، وشيخ أحمد المهدي وأركون انذلك سيك و أحمد الأمين درام، وموسى مول، ومةجغ به، ولتجور كونلاتر وب.

فالعصبية وحب الذات منعت وحدة البلاد وأتاحت لفرنسا التدخل في شئونها وسهلت احتلالها والسيطرةعليها سياسيا واقتصاديا وثقافيا. وقد ألغت فرنسا ألقاب ملوك البلاد مثل :دميل، تيج، وبور، وبر، وبراك، وسلتك واستبدلها بحاكم، وقائد، وأكلات وهي الجارية بعد الاستقلال بكل افتخار و عزة.

وقد حاول زعماء المقاومة منع احتلال البلاد بوسائل شتى لكن أس لحها كانت ضعيفة أمام ديانات فرنسا، وبوفاة لتجور سنة 1886م بدقلة و ألقي القبضعلى الشيخ أحمد بنمب بك، وعزل الحاج مالك سة من المعركة والمقاومة، إستتبت لها الظروف ودانت لها بالطاعة حتى سنة 1960م حيث منحت الاستقلال لمستعمراتها بضغوط من الأمم المتحدة والدول المستقلة من مختلف أنحاء العالم.

الفصل الأول

التعريف بمنطقة فوتا تورو(السنغال حالياً)

المبحث الأول:المحيط الطبيعي والجذور التـــاريخية

المبحث الثاني:الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والوضع الثقافي والحضاري في بلاد التكرور قبل وبعد مجيءالإسلام ونشوء الدولة الإمامية.

المبحث الثالث:ظــروف نشأة الــدولة الإمــامية.

المبحث الرابع: مرحــلة انتقال الــحركة إلى دولــة

المبحث الأول: الوسط الطبيعي والجذور التاريخية

المطلب الأول: المحيط الجغرافي

الموقع: تقع منطقة «فوتا تورو»جمهورية السنغال حاليا الواقعة في غرب إفريقيا –، وجنوب غرب جمهورية موريتانيا الإسلامية، ويشقها النهر السنغالي الذي يعد الحد الفاصل بين السنغال وموريتانيا، ومنطقة«فوتا تورو» اليوم يقع جزء منها في السنغال – الجنوبي منها –، والجزء الآخر – الشمالي – في موريتانيا، وكانت قبل الاستعمار منطقة واحدة).[1]

السكان: يتألف سكان منطقة «فوتا تورو» (السنغال حالياً) من تكرور فلان – وهم الأغلبية –، وسوننكي، والولف، وبعض الأقليات الأخرى.[2]

وأغلب سكان السنغال من المسلمين، ويشتغل أغلبهم بالزراعة والرعي والتجارة، ويبلغ نسبة المسلمين في السنغال حوالي 95% . وقد نالت استقلالها من فرنسا سنة 1960م.[3]

المطلب الثاني: الإمتداد التاريخي:

وثمة اختلاف في الرأي واسع يصل إلى حد التضارب بين من عالجوا المسألة، فيرى المؤرخ الفلاني الشيخ عبد الله بن فودية [4]أن فوتا اسم لأحد أحفاد نوح (عليه السلام) وهو رواية واسعة ومتداولة، بينما ذهب صاحب الدرس التام في التاريخ العام، إلى أن فوت اسم كان في الأصل يطلق على سكان ليبيا القدامى وفي منطقة جبال برقة تحديدا من قبائل البربر الذين تحركوا فيما بعد، عبر حركة واسعة من الهجرات الجماعية، باتجاه ضفاف نهر السنغال، ويذهب مؤلف قطف الزهور في تاريخالدهور[5] إلى محاولة الجمع بين الروايتين مع ملاحظة

---

[1] محمد جوف بن تفسير باب البرني: اعلام الهدى بغرب افريقيا، ط1، السنغال، 1999، ص9.

[2] عمر باه: الثقافة العربية والإسلامية في الغر الإفريقي، ط1-1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص40 بتصرف.

[3] المرجع نفسه،ص42

[4] هوالرجل الثاني في الحركة الجهادية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن 19 بنيجيريا وأقامت بما يعرف بالخلافة السكتية، وتوفي الشيخ عبد الله 1245م الموافق ل1829 وقد ترك ما يزيد عن 200 مخطوط.

[5] موسى كامارا: زهور البساتين في تاريخ السوادين، المجلد الأول، المعهد التأسيسي الأفريقي جامعة داكار رقم(2و3) ص107

أن قدرا من التحريف قد دخل الكلمة حيث وردت في بعض المصادر "فوط "بالفاء مرة ومرة أخرى"قوط"بالقاف.[1]

ويقال أن أصل «فوتا تورو »كلمة فلانية، أي ((فَوتَ تُورُو) بمعنى أترك عبادة الأصنام، وكلمة (فوت) تعني: أترك، و(تورو) الأصنام، ولكن كلمة (فوت) بمعنى: أترك؛ عربية وليست فلانية، و(تورو) فلانية، وكيف يمكن تركيب كلمتين بهذه الصيغة خصوصاً أن اللغة الفلانية لها كلمات بمعنى (الفوت) في لغتها، مثل: (طَلُ تورو) أو(أتَشُوتورو)، أو(سيدوهي تورو)، أو(وُوطَ تورو)، فكل هذه الكلمات تعني الترك حسب لهجات اللغة الفلانية.[2]

وثمة رواية أخرى ضعيفة الإسناد، وردت عند البكري والإدريسي وافقهم عليها يدال، تتحدث عنهم باعتبارهم من أصول أقوام فروا من جزيرة سيناء التي هربوا منها تحت ضغط العرب وحطوا الرحال في ضفاف نهر السنغال وهم يحملون معهم بعض أنواع الحبوب وصناعة الحديد التي كانوا قد مهروا فيها، ويجد بعض الروايات المحلية الشفهيةجذور اسم فوتا تورو في تلك المناسبة ويقولون بان أصل اللفظ هو "فوت"العربي و"تورو"تحريف الطاء "طور"، وفي مقابل هذه الروايات المتضاربة يقول آخرون بأنهم من السكان الأصليين.[3]

وبالعودة إلى المصادر التي اهتمت بتاريخ المنطقة يتضح أن منطقة "فوتا تورو"، ظلت رغم تشكيلها وحدة جغرافية متماسكة، تابعة لتلك الإمبراطوريات الكبرى والدول القوية التي قامت في المنطقة بدءا بمملكة غانا التي حدد المؤرخ محمود كعتو موقعها وعرفها بأنها نشأت في القرن الرابع الميلادي، قوامها قبائل متزنجة على حافة الصحراء الجنوبية وتمتد بين وادي النيجر الأدنى شرقا، والمحيط الأطلسي غربا ووادي السوس والصحراء الموريتانية شمالا ومنابع

[1] نفسه ، ص 107.

[2] نفسه، ص 109.

[3] BailaWane, Le FoutaToro de CeernoSuleymaan Baal a la fin de L'almamiyat (1770 – 1880), Revue Senegalaise de L'histoire.

نهر النيجر وبذلك ضمت الضفتين اليمنى واليسرى لنهر السنغال وهي المنطقة التي تقع أراضيها بلاد فوتا تورو.[1]

ثم مملكة مالي التي نشأت في القرن السابع الهجري على أنقاض غانا وامتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد البرنو(نيجريا) في الشرق ومن حدود المغرب الأقصى إلى قرب المحيط في الجنوب...[2]

وعندما استقلت دولة التكرور، بعد أن ظلت جزءا من مملكة غانا، شكلت منطقة فوتا تورو الجزء الرئيس من أراضيها حيث كانت تقع عاصمتها التي تحمل هي الأخرى اسم "التكرور"، ويحدد الجغرافيون المسلمون موقعها بأن قاعدتها على جانبي النيل [3]، وشملت المملكة أجزاء من السنغال وموريتانيا ومالي الحالية؛ وكانت نشأتها قبل القرن التاسع على أيدي أسرة جاعوغو التي تعتبر من أوائل الأسر التي تعاقبت على حكم المنطقة ويعود المؤرخ سري عباس بجذورها إلى شمال سوريا التي هاجروا منها وقادتهم حركتهم إلى أن وصلوا إلى حوض نهر السنغال الذي أسسوا فيه حكمهم سنة 850م والذي استمر أكثر من قرن ثم انتهى حكمها على يد وار جابي مؤسس حكم أسرة "من"في القرن الحادي عشر الميلادي.[4]

[1] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال ، ب،ط،ب، د، ن، ص 16.

[2] صلاح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت، 1962م،ص46

[3] كثير من المؤرخين والرحالين القدماء يطلقون اسم النيل على مر السنغال كما فعل البكري وابن ببطوطة وابن خلدون وموسى كماراوالقلقشندى...

[4] سرى عباس سه، استدراك ما فات و ما كاد أن يفوت في تاريخ فوت، مطى المعهد التأسيسي الأفريقي، جامعة شيخ أنت جوب، دكار، ومكتبة محمد سعيد باه ،ص55.

المبحث الثاني: الأوضاع الا قتصادية والا جتماعية والسياسية والوضع الثقافي و الحضاري في بلاد التكرور قبل وبعد مجيء الإسلام ونشوء الدولة الإمامية.

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي والاجتماعي قبلمجيء الإسلام

. الوضع الاقتصادي: شبه المؤرخ عمر باه، في كتابه المعنون باللغة الفرنسية: "فوتا تورو ملتقى الثقافات"، بلاد فوتا تورو بولاية تكساس الأمريكية من خلال أراضيها المترامية والخصيبة... والتي يمكننا اليوم أن نوازن بين قيمتها في ذلك الزمن وبين القيمة الاقتصادية التي تتمتع بها آبار البترول في هذا العصر.[1]

"وهي مدينة على النيل على الغرب من ضفافه أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب، وطعام أهلها السمك والذرة والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال والمعز، ولباس عامة أهلها الصوف وعلى رؤوسهم ترازين صوف ولباس خاصتهم القطن والمآزر... وأكثر ما يسافر به تجار المغرب الأقصى إليها الصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم".[2]

وفضلا عن الحركة التجارية النشطة التي كانت تقوم أساسا على مناجم الذهب الغنية الواقعة في الجزء الشرقي من الوادي، فإن المنطقة كانت تتمتع حتى عهد قريب بثروة حيوانية وغابية ضخمة والتي تأثرت بموجة الجفاف الذي أدى إلى التصحر الجزئي، ولقد اجتاحت هذه الموجة المنطقة منتصف الثمانينات ونتج عن ذلك ظهور نتائج اجتماعية واقتصادية مهمة منها اشتداد وتيرة الهجرة إلى الخارج بعد أن ظلت منطقة فوتا تورو تتميز بأنها منطقة جذب وليست منطقة طرد.[3]

---

[1] Oumar Ba, Le FoutaToro Au Carrefour des cultures, L'harmattan, PARIS.

[2] صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين مصدر سابق ،ص 35.

[3] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق ص 21.

أما الركيزة الرئيسة التي كان النظام الاقتصادي في بلاد فوتا تورو يعتمد عليها، فتتمثل في الأراضي الزراعية الشاسعة والخصبة التي تتمتع بها المنطقة وكانت واحدة من أهم العوامل التي تجتذب الشعوب والأمم نحو بلاد فوتا تور.[1]

ويشكل صيد السمك مجالا اقتصاديا آخر مهما، وتتضح هذه الأهمية من خلال كثرة مصادر صيد الأسماك في المنطقة ابتداء من نهر السنغال الذي هو المصدر الأساس وكان يزخر بأنواع مختلفة من الأسماء وبكميات هائلة جدا وخاصة في موسم الفيضان حين تمتلئ الأحواض والممرات المائية الفرعية وتكثر في النهر وفروعه أنواع من الأسماك والحيوانات المائية الكبيرة مثل فرس النهر والتماسيح.[2]

وقد أدى ذلك إلى وجود ثقافة واسعة عن الصيد ومهرجانات خاصة الافتتاح مواسم الصيد وآليات اعتمدها المجتمع الفوتي لتنظيم عملية صيد الأسماك ومن الأمثلة المهمة هنا وجود ما يعرف لدى السكان ب: "كبل" (KUBBAL) وهي ضريبة يدفعها الصيادون لصاحب الأراضي التي تقع فيها أحواض أو برك كبيرة غنية بالأسماك.[3]

ومن المجالات المهمة للحياة الاقتصادية في فوتا تورو، مجال الحرف المختلفة التي تتعاطاها طبقة "انبينبي" (neenbe) وهم الذين يسميهم المؤرخ الشيخ موسيكمارا "المحكمون صنعتهم"، وذلك إشارة إلى أهمية الدور الذي يؤديه هؤلاء في حركة المجتمع الاقتصادية، ومن أهم المجالات التي تغطيها الأنشطة الحرفية صناعة الحديد وصوغ الذهب وذلك رغم تقلص

[1] وقد وصل الأمر إلى نسج روايات تكاد تكون أسطورية من قبيل ما يروى بأن سبب غزو كوليتنغيلا للمنطقة هو أنه كان قد عسكر مع جيشه يستريح في ظل شجرة الباوباب (الحميرة) الضخمة أثناء مروره بأرض جولوف، وبينما هم كذلك إذ سقطت عليهم سنبلة طرية صغيرة كانت في منقار ببغاء مع أن الزمن كان صيفا وهنا قرر كولي أن يبعث من يتتبع البغاء في رحلتها وهي عائدة وهكذا وصل الخريت إلى ضفاف نر السنغال ليفاجأ ببساط أخضر من الزرع في عزالصيف.

[2] [2] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق ص 28.

[3] مصدر سابق 8Oumar Ba, Le FoutaToro Au Carrefour des cultures

كميات الذهب في المنطقة، وهناك النجارة للأدوات الزراعية والمنزلية والقوارب، والمجال الآخر هو صناعة النسيج من غزل ونسج، وأخيرا صناعة الجلود والفخار بأنواعها المختلفة.[1]

.الوضع الإجتماعي :أما على صعيد الوضع الاجتماعي، فالتركيبة السكانية بمنطقة فوتا تورو تتسم الآن بالتجانس إلى حد كبير، لكن ذلك يعتبر وضعا طارئا وقد جاء نتيجة لتحولات اجتماعية كثيرة تمت في فترات زمنية متلاحقة بفعل حركات الهجرة المتتابعة التي عرفتها المنطقة في الاتجاهين (الداخل و الخارج).[2]

وحتى قبيل قيام دولة الأئمة وانتشار الإسلام بعدة عقود، كانت الخارطة السكانية تتسم بالفسيفسائية حيث كان عدد من الشعوب والقبائل تتجاور أو تتعاقب فنجد الحسانيين ذوي الأصول البربرية والسوننكي والسرير والولوف.... لكن يبدو أن قيام مملكة فوتا تورو على يد أسرة دينينكوبي في القرن الخامس عشر أدى إلى نزوح الولوف والسرير بصورة جماعية حتى لتكاد المنطقة تخلو من غير الفلانيين إلا بعض الجيوب التي يشكلها الولوف والسوننكي بصورة متناثرة وأما الآخرون فلم يعد لهم أي وجوده.[3]

ومن الناحية التاريخية فالتقسيم الاجتماعي الغالب في بلاد فوتا تورو كان ثنائيا في الأصل بحيث ينقسم المجتمع إلى طبقتين أساسيتين هما الفلان وستي (بالإمالة في الحرفين)، واللفظ في استخداماته الأصلية يكاد يعطي المعنى العام الذي يروج عند كثير من الشعوب حين يتم إطلاق اسم يختزن مفهومين متلازمين على الغير، المفهوم الأول يعني بكل بساطة "الآخر"كأن تقول العرب: "العجم"في مقابل العرب على سبيل المثال، والمعنى الآخر ضمني وهو: "الأدنى"في مقابل الأعلى، وهذه ظاهرة متكررة ولا تزال حية كذلك في كثير من المجتمعات وفي هذين السياقين تم توظيف لفظ "سبي"ومفرده: "ش" (بإمالة الشين وضمة معقوفة على الطاء المشددة) عند فلانيي بلاد فوتا تورو.[4]

---

[1] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق ص 28.

[2] نفسه ، ص26.

[3] Tamsir Ousmane Bâ, SekeneModyAmoko, Histoire du Sénégal, Nouvelles Edition Africaine, Dakar- Abidjan, 1989.

[4] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق ص 29.

المطلب الثاني :الوضع السياسي والثقافي والحضاريقبل:

. الوضع السياسي :وقبل أن تشكل منطقة "فوتا تورو"وحدة سياسية مستقلة ذات سيادة، فقد مرت بمراحل كانت فيها تابعة لإحدى القوى الإقليمية السياسية أولاها مملكة غانا في القرن الحادي عشر، مملكة مالي في القرن الثالث عشر، ثم مملكة جولوف التي بسطت سيطرتها على بعض الأجزاء من البلاد في القرن الرابع عشر.[1]

وبعد هذه الفترة من الخضوع للقوى الخارجية، أخذت المنطقة تتجه نحو العمل من أجل الاستقلال وبصورة متدرجة كذلك، وطبقا لأكثر الروايات التاريخية تداولا فإن التسلسل الذي تعاقبت هذه الأسر على الحكم كان كالآتي:[2]

أولا/:أسرة "جاعوغو"التي سبقت الإشارة إليها وإلى جذورها، وتأكيدا لأصولها السورية فإن بعض المؤرخين يطلقون عليها اسم "جا عك"نسبة إلى مدينة عكا الشامية ويعطون اللفظ معنى عربيا صرفا حيث يصبح: "جاءوا من عكا"، وأما منطقة تمركزهم فيشير بيلا ون الباحث في تاريخ المنطقة، إلى أنهم كانوا قد اختاروا الجزء الغربي من البلاد للإقامة، ومهما يكن من أمر فإن حكمها للمنطقة قد استمر حوالي قرن ونصف قرن ليسقط أخيرا في القرن الحادي عشر من الميلاد.[3]

ورغم انتشار الوثنية في أوساط السكان في تلك الفترة، فإن جاعوغو كانوا على ما يبدو يدينون بالإسلام حيث تقول المصادر التاريخية بأن حاكمهم الذي قتله الملك وار جابي كان اسمه محمود، ومن حيث الانتماء العرقي نرجح أن يكونوا فلانا أصولا أو عن طريق الاندماج الاجتماعي وذلك إذا استأنسنا ببعض المؤشرات القوية التي من أهمها هنا أن اللقب

[1] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 33.

[2] نظرا لتعدد الروايات حول التسلسل التاريخي للأسر الحاكمة فقد لجأنا إلى عدة مصادر للخروج بهذه الخلاصة.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

الذي كان الحاكم يحمله هو "غلو" (GALO) وهو لفظ فلاني واسع الانتشار وكثير الاستخدام واضح الدلالة ويعني الغني وكثيرا ما يطلق لقبا للحكم.[1]

ثانيا/:أسرة "من"، ويرى بعض المؤرخين بأن "من"كان لقبا لحاكم مملكة جارا السوننكية في الأجزاء الشرقية لحوض نهر السنغال، وبالمقارنة مع بعض الأسر التي حكمت بلاد فوتا تورو فهؤلاء أقرب من حيث الأصول الاجتماعية والعرقية والجغرافية ويقال بأنهم من آل "جكتي"التي يقال لها أيضا "جختي"وآخرون يقولون بأنهم من "جارا".[2]

ثالثا/:وبعد سقوط حكم أسرة "من"في ظروف لا نملك عنها من المعطيات إلا النزر اليسير يتمثل في أنهم كانوا تحالفا وثنيا محليا تحركوا، وذلك بعد أن ضاقوا ذرعا، ضد ما اعتبروه ازدياد النفوذ الإسلامي الذي دشن الملك وار جابي مسيرته ثم تلقي شحنة هائلة على يد ابنه "ليبي"الذي سارع إلى نجدة يحيا بن عمر الذي كان يواجه تهديدا خطيرا من قبيلة جدالة الصحراوية وهو يقود جيشا قدر تعداده بعدة آلاف من المحاربين.[3]

ويضع المؤرخ عمر باه علامة استفهام أمام الرواية التاريخية التي تقول بأنهم من الأرقاء، وعلى كل فقد استلموا أزمة الأمور في بلاد فوتا تورو حوالي 1300م وإليهم ينسب المؤرخ عمر باه كذلك أصول بعض ألقاب السيادة التي لا تزال سائدة في المنطقة مثل "فرب" (FARBA)، وقد استمر حكمهم لبلاد فوتا تورو قرنا من الزمن 1300- 1400م.[4]

. الوضع الحضاري و الثقافي : وباستقراء كل تلك المعطيات، تكون صورة متكاملة عن منطقة فوتا تورو قد ارتسمت، وتعكس مستوى التحضر الذي بلغه السكان في هذه المنطقة، وقد جاء ذلك عبر سلسلة من التحولات الاجتماعية شكلت في النهاية أرضية خصبة لنهوض حضاري متميز في المنطقة حتى بمقاييس العصر الحديث وقد أعطى أحد الباحثين الذين اهتموا بالتطور التاريخي للمنطقة "ومنذ فجر التاريخ كان حوض نهر السنغال مأهولا

---

[1] نفسه ، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] نفسه، ص19.

[4] Oumar Ba, Le FoutaToro Au Carrefour des cultures, L'harmattan, PARIS

قامت فيه دويلات أفريقية على قدر من التحضر عرفت استغلال النحاس والحديد وصناعة الفخار ونسج الثياب".[1]

والخلاصة التي يمكن الوصول إليها في هذا الصدد هي أن منطقة فوتا تورو، وهي تشكل الجزء الأكبر والأهم لمنطقة وادي نهر السنغال، كانت طيلة حقبة طويلة تعيش وضعا حضاريا متقدما كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين الذين وصفوها بقولهم: كانت منطقة وادي نهر السنغال محور جذب ومحل تنازع كبير بين القوى الإقليمية.[2]

ولقد تحدث بعض الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المنطقة حوالي القرن السابع عشر، عنها بإعجاب وقال بأنه وجدها مسلمة بكاملها ويقطنها شعب يصل تعداده إلى مليوني نسمة ويحكمها إمام تنصبه أو تخلعه أوليغارشية دينية مؤلفة من مجلس يضم أصحاب العقارات السبعة الكبار.[3]

ويتحدث الباحث بيلا ون عن العوامل والظروف التي مكنت من قيام نهضة عمرانية معتبرة في بلاد فوتا تورو ويقول بأن الإمكانات الزراعية والرعوية الضخمة التي يتمتع بها الجزء الأوسط لوادي نهر السنغال سهلت استقرار ونمو وازدهار تجمعات بشرية فيه وليصبح بالتالي مركزا مهما للإشعاع الحضاري وقد حمل اسم فوتا تورو منذ الخامس عشر الميلادي.[4]

وأما المستوى الثقافي، فكان متقدما كذلك إذا قايسنا ذلك بالمستوى العام الذي كان سائدا في معظم أنحاء المنطقة إذا استثنينا تلك المناطق التي عاشت تحت دول وأنظمة قوية مثل مملكة مالي ودولة صنغي، وسنعود لنتوسع بعض الشئ عن الوضع الثقافي حين نتناول الوضع الثقافي الذي كان قائماً عشية قيام دولة الأئمة.[5]

المطلب الثالث: الوضع السياسي والوضع الثقافي و الديني بعد:

[1] على الخاتم، "الإسلام في السودان الغربي"دراسات أفريقية، العدد الأول المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1985م ،ص54.

[2] فنسان مونتاي، الإسلام في أفريقيا السوداء، ترجمة إلياس حنا إلياس، دار أبعاد، بيروت 1995م ،ص56.

[3] فنسان مونتاي، المصدر نفسه ،ص58

[4] علي الخاتم ،المصدر السابق ،ص 56.55.

[5] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص48.

. الوضع السياسي :يمكن اعتبار هذه الفترة التي عاشت فيها فوتا تورو في ظل الأيام الأخيرة من حكم أسرة دينينكوبي، من أسوأ الفترات التي مرت بها المنطقة من الناحية السياسية وذلك عندما ساءت الأوضاع نتيجة الصراع المحتدم داخل الأسرة الحاكمة فبدءوا يتنافسون على السلطة، وهو الصراع الذي سيبلغ أوجه بين كل من كنكو بوبو موسى وابن أخيه سمبا غلا جيغى.[1]

عانى السكان بكل طوائفهم من ويلات هذا الصراع الذي تطورت إلى صدام مسلح من خلال سلسلة من المعارك التي خاضها الجانبان في أكثر من موقع حتى جعلت الشراسة التي اتسمت بها تلك المعارك تتحول إلى أساطير تحتل مساحة واسعة في الأدب الفلاني.[2]

لكن العامل الذي عقد الوضع أكثر تمثل في التدخل الأجنبي الذي وقع نتيجة سعي الطرفين المتصارعين إلى الحصول على دعم من قوى خارجية وبالخصوص الأمراء الشماليين من البياضين الذين كانوا يسيطرون على الإمارات الشمالية في براكنه وخاصة أولاد الناص وأولاد عبد الله الذين استنجد بهم الطرفان كلاهماوبعض الأطراف المتخاصمة بلغ بها الأمر أن وسعت دائرة هذه الاستعانة فوجه نداء الاستغاثة إلى المغاربة، وذلك عندما طلب ستيغي ببكر سري في سنة 1716م من شرفاء المغرب أن يساندوه في صراعه مع خصمه العنيد غلا جيغي، وبهذا فتحوا بابا خطيرا، كما يقول المؤرخ عمر كان، حين أعطوا لهؤلاء فرصة للتدخل في شئون فوتا الداخلية.[3]

ونتيجة لهذه الاستعانة المزدوجة تمكن بعض القيادات الشمالية، ليس فقط من التدخل في شئون المنطقة الداخلية كما أينا، وإنما وصل الأمر إلى إرهاق السكان بتلك الضرائب الباهظة التي كانت تثقل كواهلهم بناء على الالتزام الذي قدمه سمبا غلاج جيني للأمير الحساني عندما قال له: إذا ساندتموني ضد عمي كنك بوب موسى حتى انتصرت عليه

[1] المرجع نفسه، ص50.

François, Victor Equlbecq, la légende Historique de Samba Gueladio Djegui[2] prince du Fouta, NEA, Sénégal

[3] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق،ص 50.

سألتزم لكم بان تدفع لكم ضريبة سنوية بمقدار صاع عن كل رأس من سكان فوتا تورو، وفي رواية أخرى أوصل الشيخ موسى كمار الضريبة إلى عشرين صاعا.[1]

ولم يجد منافسه بدا من أن يحذو حذوه فالتجأ هو الآخر إلى الحسا نيين فتقدم إليهم بعرض أكثر إغراء حيث تجمع المصادر الشفهية بأنه التزم لهم بضريبة الصاع عن كل شخص مهما كان عمره وذلك مرتين في السنة عند موسم الحصاد، [2]وعرفت هذه الضريبة فيما بعد ب: "مد حرم"[3]

الوضع الاقتصادي:

مع أن كثيرا من المصادر لم تكن تحفل بما فيه الكفاية بالقضايا ذات الطبيعة الاقتصادية، يمكن العثور على ما يؤكد بأن الأوضاع المعيشية كانت جيدة وذلك اعتمادا على طبيعة المنطقة التي كانت تتسم بالخصبة حيث الغابات والثروات الحيوانية الضخمة والقوة البشرية المتمثلة في الرقيق الذي كانوا يورون اليد العاملة المضمونة إلى جانب الدور الاقتصادي الحيوي الذي كان يؤديه نهر السنغال، ففضلا عن كونه مصدرا للفيضانات الموسمية التي تروي المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، فهو مصدر لصيد السمك الوفير وممر مائي يسهل الحركة التجارية من المصاب إلى المناطق الشرقية أو العكس، حيث تحولت بعض محطات السفن التجارية إلى مراكز تبادل نتيجة الحركة الملاحية الجيدة، وخاصة إذا تذكرنا أن المناطق الشرقية تعتبر محصورة العدم تمتعها بأي منافذ بحرية تسهل حركتها الاقتصادية.[4]

الوضع الثقافي والديني:

[1] يتميز سكان فوتا بالدقة في تحديد أدوات و مقادير الوزن والكيل فلديهم، Mat HamdaatMuudo Nifga, Tugulla. Nuulla

[2] يملك سكان فوتا تورو موسمين زراعيين في السنة يعتمد الأول على الأمطار الموسمية، بينما يعتمد الثاني على فيضان نهر السنغال.

[3] فالمد أحد الأوزان وحرم اسم أحد الأمراء الحسانيين الذين التجأ إليهم الطرفان لطلب النجدة وفي بعض المصادر تعرف هذه الضريبة ب"مد سدوم"

[4] المرجع نفسه، ص48.

ومنذ أن أصبح الإسلام دين الدولة بإسلام الملك وار جابي بن رابيس، بسط الدين الجديد مظلته الثقافية من خلال عاملي القرآن الكريم والكتابة التي كانت تنحصر داخل البلاط في المراكز الحضرية ويتولاها مثقفون باللغة العربية، ومع أن الحملة التي قادها كولي تنغيلا قد عرقلت المسيرة الدينية كثيرا إلا أننا نعثر على مؤشرات قوية تدل على أن الوضع الثقافي ظل مقبولا رغم كل شيء.[1]

ويتمثل المؤشر الأول في مدى الاهتمام بحفظ القرآن الكريم الذي نجده ظاهرة شعبية منتشرة على نطاق واسع، من ذلك ما يرويه المؤرخون من أن الشيخ سليمان بن راسن بال مفجر حركة الإصلاح قد اعتمد، حينما كان ينشئ حركته الجهادية، على مجموعة من الشباب تضم(12) رجلا من أب واحد كلهم يحفظون القرآن حفظا جيدا وهم أولاد الشيخ بوبوكاسم والذين وقفوا إلى جانبه في صراعه مع لام تورو صال[2].

والمؤشر الثاني نجده متمثلا في تلك الحركة النشطة لطلاب العلم في هذه الفترة حيث كان بعض الراغبين في العلم من الأقاليم المتاخمة يتجهون نحو فوتا تورو لطلب العلم فضلا عن البعثات الطلابية التي كانت تخرج من المنطقة صوب الشمال.[3]

ومن الأمثلة المعبرة التي يمكن إيرادها هنا تلك الرحلة الشهيرة التي قام بها جد القاضي عمر فال من "كجور"إلى فوتا تورو لطلب العلم ثم استقر فيها الأخير ليفتح مدرسته لاحقا قبل أن تضطره الظروف إلى العودة إلى مسقط رأسه لاحقا وتكون بذلك نواة جامعة "بير سانيا خور"التي ستقوم فيما بعد وتكون قبلة الطلاب ليدرس فيها بعض قيادة حركة الأئمة، وتصنف جامعة بير في خانة كبرى المراكز العلمية التي قامت في منطقة غرب إفريقيا أمثال تمبكتو وجني وولاته.[4]

ومؤشر آخر يدل على أن الوضع الثقافي للمنطقة كان جيدا عشية قيام دولة الأئمة أن الشيخ سليمان بال لم يجد صعوبة في العثور على مجموعة من العلماء البارزين الذين كان كل

---

[1] نفسه، ص49.

[2] قداح نعيم، المرجع السابق، ص83.

[3] محمد سعيد باه: دولة الائمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص47.

[4] المرجع نفسه، ص47.

واحدهم يشرف على مدرسة علمية، ليطلب من سكان فوتا ترشيح أحدهم للإمامة كما سنرى لاحقا.[1]

وفوق ذلك كله تجمع المصادر التي اهتمت برصد الحركة الثقافية التي كانت قائمة في تلك الفترة على أن حركة تنقل طلبة العلم باتجاه الشمال كانت نشطة وقوية ومما يدل على ذلك زمالة بعض كبار العلماء في المنطقتين كما هو الحال بين الإمام عبد القادر كان والعلامة مختار ولد بون الجكني.[2]

ومن الناحية التاريخية يمكن اعتبار حملة كولي تنغيلا نكسة خطيرة للوجود الاسلامي في المنطقة، وفضلا عن الخلفية الوثنية التي جعلت "دالا فوس"يعتبر قيام دولة الأئمة انتصارا مزدوجا، انتصار الإسلام على الوثنية وانتصار طبقة "توربي"على طبقة الفلان، فإن الشراسة التي اتسمت بها حملته تركت آثارا سلبية وغائرة الأثر على الوجود الإسلامي حيث تقدر المصادر ضحايا الحملة بالآلاف، ويقدم لنا المؤرخ الشيخ موسى كمارا أمثلة في هذا المجال من ذلك قصة كولي مع الشيخ تفسيردمب ملاط آن الذي أراد كولي أن يسترقه هو وأهله عند مروره به فلما أراد كولي القيام التصق جلد الشاة الذي كان يجلس عليه بمؤخرته ولم يخرجه من ورطته إلا استرضاء الشيخ.[3]

ورغم الجدل الذي يدور بين المؤرخين حول معتقد دينكوبي الذي يقطع بعض الباحثين بوثنيتهم أمثال بيلا ون الذي قطع بأنهم اعتنقوا الإسلام على يد الأئمة وهو أمر قابل للنقاش، فإن حكمهم لم يكن، بإجماع المصادر، في صالح الوجود الإسلامي حيث تقوت الوثنية وخبا روح التدين كثيرا كما تعكس ذلك عبارة المؤرخ سرى عباس سه في كتابه

[1] نفسه، ص48.

[2] يشير بعض المصادر إلى أن الإمام عبد القادر كان قد زامل العلامة ولد بون مؤلف كتاب الاحمرار عندما التقيا في محظرة (محلس) الشيخة خديجة بنت محمد العاقل بينما يرجح المؤرخ موسيكمارا بأن الذي درس على يد الشيخة خديجة من أهل فوتا هو العلامة تفسير حماد إبرا باه.

[3] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، ص 49.48 .

استدراك ما فات عندما تحدث عن سقوط دولة دينينكوبي ونهوض نظام دولة الأئمة وتحدث عن تطهير البلاد من أدران الوثنية.[1]

وهذا أيضا هو الواقع الذي لمسه الشيخ سليمان بال عندما قابل سلي انجاي الصغير الذي كان يحكم البلاد في تلك الفترة وحاول منع الشيخ من دخول العاصمة التي كانت بمدينة "هركجرى"، وحين سأله الشيخ عن عدد أزواجه؟ كان جوابه "عندي مائة زوجة وثلاثة منهن حرائر والباقيات جواري"[2].

ومع عودة بعض العادات والممارسات الجاهلية التي كان الإسلام قد قضى عليها بقيت القاعدة الدينية قوية ومتمثلة في العلماء والشيوخ، ورغم ما كانوا يتعرضون له من صنوف الإرهاب والضغط من طرف السلطة، فإنهم كانوا يستغلون الهامش الضيق الذي يتاح لهم لتوعية الجماهير وحثها على عدم الرضوخ من خلال عمل فردي أو منظم لمقاومة تلك الحملة الشرسة التي كان بعض حكام دينينكوبي يشنونها على المسلمين مستخدمين شتى وسائل الاستفزاز والإذلال كما فعل سلى انجاي الذي كان يدنس المساجد بإدخال الخنازير فيها أو إرغام المصلين على أن يبقوا فترة طويلة ساجدين أو راكعين في الصلاة تحت تهديد السلاح .[3]

[1] قداح نعيم ،المرجع السابق، ص84.

[2] الشيخ موسى كمارا، زهور البساتين، مصدر سابق ،ص135

[3] François, Victor Equlbecq, la légende Historique de Samba Gueladio Djegui prince du Fouta, NEASénégal.

المبحث الثالث: ظروف نشأة الدولة الإمامية.

المطلب الأول: حركة الشيخ سليمان بال والعوامل المساعدة.

وقبل الحديث عن دولة الأئمة يجب العروج على الرجل الذي قاد تلك الحركة الإصلاحية الناجحة التي أدت في نهاية المطاف إلى قيام إحدى أهم تجارب الإحياء الإسلامي خلال القرون الخمسة الماضية كما يرى جمال ولد الحسن أحد أقدر الباحثين الموريتانيين.[1]

يقول الباحث بيلا ون بأن شخصية الشهيد سليمان مجهولة كثيرا، يمكن القبول بهذه الفرضية إذا نظرنا إلى الموضوع من زاويتي الحجم التاريخي الذي تتمتع به شخصية الشهيد والمساحة الضيقة التي أفسحت لها اجتماعيا وعلى مستوى الدولة كذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حظها في التعريف على مستوى العالم الإسلامي لا يزال ضئيلا بالمقارنة مع رموز إسلامية تقل عنها دورا وتأثيرا، وإلا فشخصية الشيخ الشهيد كانت حاضرة بقوة ولا تزال تحظى بمكانة عالية في وجدان الشعب الفوتي، وإن كان عامل الزمن قد بدأ يسري مفعوله.[2]

ومن الصعب أن نحدد بدقة تاريخ ميلاد الرجل وكذلك الأمر فيما يتعلق بالجزء الأساس من مرحلة حياته الأولى، ولكن من المرجح أن تكون ولادة الشيخ سليمان راسن بال حوالي مستهل القرن الثامن عشر الميلادي في أسرة علمية تنتشر فيها روح التدين وتنتمي إلى الأسر التي كانت تعتبر حامية حمى الدين في المنطقة وهي أسرة الشيخ تشارنو آسو بال الشهيرة.[3]

أما من الناحية العرقية ينتمي الشيخ سليمان بال إلى بكارنابى إحدى بطون قبيلة "وطابي"الكبيرة، وهو ما يدعم القول بأن اسمه العالي الأصلي هو باه ثم تحول إلى بال وهي

[1] ,كما جاء في إحدى المحاضرات التي قدمها سنة ١٩٨٢ من خلال الموسم الثقافي الذي نظم بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ، نواكشوط ، وحضرها.

[2] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال،المرجع السابق، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص53.

ظاهرة معروفة في بلاد فوتا تورو وما حولها، وهي كذلك إحدى أعرق قبائل الفلان بمنطقة حوض نهر السنغال وكانت تسكن في تلك الفترة في الأجزاء الغربية من بلاد فوتا تورو، ويعود المؤرخ عمر باه بجذورهم إلىهجرة القبائل الفلانية التي وردت المنطقة قادمة من المناطق الجنوبية ودون تحديد تاريخ لذلك[1].

"توجه إلى فوت جلو يتعلم العلم فلما حاز من العلوم أبركها طلب من علمائهم دعاء على أولاد تقل الذين مر ذكرهم وقام من هنالك وأتي قرية جاب لمشاورة المفسر بقل أحمد بن صنب..."[2]

وأما الشيخ موسى كمارا فلم يجزم في ذلك بشيء، فبعد أن سرد أسماء بعض الأعلام ممن درس في بر، اكتفي بمجرد القول:

"... وسيرن سليمان بال وقيل بأنه لم يذهب إليها"لكن الباحثين المتأخرين يجمعون على أنه درس فيها وأكثر من ذلك كونه من أبرز خريجي هذه المدرسة.[3]

وفي رحاب مدرسة "بير"التقى الطالب سليمان راسن بال بعدد من الشباب المسلم الذي غادر فوتا تورو على إثر الشيخ عمر فال وخلفائه في إدارة المدرسة الذين كانت لهم شهرة علمية واسعة في بلاد فوتا تورو، ورغم عدم وجود إثباتات تاريخية صريحة حول الدور الذي أدته مدرسة بير بصورة مباشرة في إشعال ثورة الأئمة، فإن ثمة من المؤشرات ما يقوي وجهة النظر التي تذهب إلى أن مدرسة بير كانت بمثابة المحضن الذي تهيأت في أجوائه العلمية والفكرية تلك المجموعة التي سيكون لها الدور الأساسي في إشعال الثورة وإقامة الدولة كما سيتضح لاحقا.[4]

ويمكن أن تتقوى وجهة النظر هذه إذا تذكرنا أن الشيخ دمبا فال، الذي كان يدير مدرسة بير في تلك الفترة، والذي انجذبت إليه هذه المجموعة من شباب فوتا تورو، كانت

---

[1] Le FoutaToro Au Carrefour des cultures

[2] سرى عباس سه، استدراك ما فات، ص57.

[3] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال،المرجع السابق،ص54.

[4] نفسه، ص55.

الظروف السياسية في المنطقة قد اضطرت جده القاضي عمر فال إلى التوجه نحو كجور، وهكذا يمكن أن يكون قد أدي دورا مؤثرا في بلورة فكرة إنشاء تلك الحركة التي استطاعت قلب الأوضاع في المنطقة. " : وهذه المشكلة سيواجهها الإمام عبد القادر بعد عودته من بر وتوجهه إلى بند حيث فتح مدرسته وجلس للتدريس لكن ملوكها ضيقوا عليه الخناق وهو ما اضطره للانتقال إلى بلدة أبي في منطقة "انغنار"وأعاد فتح مدرسته فيها.[1]

وهنا أيضا لا تحدد المصادر الفترة الزمنية التي أمضاها الطالب سليمان بال بمدرسة بير لكنها تجمع على الأثر الغائر الذي تركته في صقل قناعاته الفكرية وتشكيل شخصيته وتحديد خياراته السياسية من خلال مشروعه الإصلاحي الذي يقوم على أساسين:

الأول: كون الوضع في بلاد فوتا تورو قد أصبح جاهليا، وأن الطريقة التي يتبعها الحكام من أسرة دينينكوبي تقوم على الظلم الفاضح وبالتالي يجب العمل على إصلاح هذا الوضع.

الثاني:أن طريق الإصلاح يقوم على العودة إلى الإسلام ولا شيء غيره، وذلك من خلال اعتماده عقيدة وشريعة ينبثق منهما قيام نظام حكم علي أساس الإسلام وفق رؤية واضحة مع اتخاذ الجهاد وسيلة لإنجاز المشروع الإصلاحي، وهنا كان قراره بالعودة إلى فوتا تورو، وثمة رواية تقول بأنه كان قد توجه قبل عودته إلى فوتا إلى كل من "فوتا جالون"وبلاد "بن"التي في شرقي السنغال اليوم، وذلك من خلال الاستعدادات التي كان يقوم بها قبل النزول إلى الميدان، وهو أمر وارد جدا، نظرا للروابط التاريخية التي تربط بين سكان المناطق الثلاثة (فوتا جالون، فوتا تورو، فوتا بند)، فضلا عن السعي إلى الاستفادة من التجربة السياسية والعسكرية التي كانت قد بدأت من خلال الحركة الجهادية التي كان قد قادها فلانيوفوتاجالون وبلاد بند ضد الوثنيين والتي نجحت في إقامة دولة الأئمة في المنطقتين، كما لا يستعبد أن تكون ثمة زمالة تربط الشيخ سليمان بال مع بعض الطلاب الذين جاءوا من فوتا جالون وبند للدراسة في بير.[2]

[1] نفسه، ص55.

[2] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع نفسه، ص 56.

ومهما يكن فقد توجه الشيخ سليمان بال بعد تخرجه إلى بلاده فوتا تورو وهو يحمل مشروعه الإصلاحي، ومقتنع كذلك بأنه سيجابه جبروت سلطة دينينكوبي التي كان قد مضى على تأسيسها على يد كولي تينغ أكثر من مائتي سنة ، قبل استعراض مراحل الصراع الذي سيخوضه الشيخ سليمان بال في فوتا لا بد من الإشارة إلى أنه أظهر روح الرفض والاحتجاج على الظلم مبكرا ونلمس بوادر ذلك لديه منذ أن كان طالبا يتلقى العلم في بلاد شنقيط، وذلك من خلال تلك الأحداث التي وقعت له هناك، وكان أبرزها محاولة التصدي لظاهرة الرق التي كانت أيامئذ آخذة في الانتشار حيث كان السبي والاختطاف ممارسات شبه معتادة يقوم بها البيضان من خلال الإغارة على المناطق الحدودية مستغلين بذلك التسيب السياسي الذي كان يجتاح المنطقة والناتج عن ضعف الحكام الذي سهل التدخل الأجنبي السافر فضلا عن ظاهرة النخاسة التي كانت قد بدأت تنتشر على أيدي الأوروبيين الذين كانوا يجوبون نهر السنغال منذ منتصف القرن الخامس عشر.[1]

وتتمثل تلك الحادثة الشهيرة في الموقف الذي اتخذه عندما رأى، وهو في طريق عودته من بلاد شنقيط، سفينة راسية وفي داخلها شاب مقيد يقرأ القرآن فلما سأله عن حاله أخبره بأنه كان في سفر فاختطفه بعض الأمراء من غير المسلمين فباعوه إلى أصحاب السفينة ليأخذوه إلى اندر حيث قاعدة الفرنسيين، فما كان منه إلا أن طالبهم بإطلاق سراحهلأنه حر باعتباره مسلما، وعندما رفضوا ذلك لجأ الشيخ إلى استخدام القوة التحرير الرجل[2].

وما أن وصل الشيخ إلى مقره الجديد ونظم حياة أتباعه، حتى استأنف نشاطه في مجال التوعية مركزا هذه المرة على القيادتين الدينية والسياسية في المنطقة الشرقية التي انتقل إليها ستيغي سلى انجاي الصغير الذي تراخت قبضته عن السلطة كثيرا، ورغم ضراوة المعارضة التي لقيها حتى من قبل بعض العلماء فقد استمر يتحرك في جميع أرجاء المنطقة منظما لقاءات هنا وهناك[3]

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع نفسه، ص 57.

[2] السيخ موسى كمارا ، زهور البساتين، مصدر سابق، ص54 .55

[3] أبو بكر خالد باه، نبذة من تاريخ فوتا السنغالية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1956م، ص98.

وفي مرحلة تالية قرر الشيخ سليمان بال تصعيد الوضع فحاول الاتصال بالحاكم لعرض دعوته عليه، وحدث ما كان متوقعا حين حاول الأخير منعه من دخول عاصمته لكن إصرار الشيخ على دعوته وإقبال السكان عليه جعلت موازين القوى تميل لصالحه.

"فلما وصل إليه طلب النزول عند قرية حركجر ومنعه سليانجاي الصغير من ذلك ونزل خارج القرية مستظلا تحت ردائه يعظ الواصلين إليه حتى سبي شرك وعظه كثيرا من قواد الدولة الستكية (نسبة إلى ستك من ألقاب حكام دينينكوبي) فلما أيقن سليانجاي نقصا في دولته ورد (ركب) في سفينة ليلا.."[1].

ولقد تفجر الصراع من جديد مع البياضين عندما اعترض الشيخ على الطريقة السيئة التي كانت بعثة من بعثاتهم التي كانت تجوب المنطقة التحصيل ضريبة "مد حرم"عن طريق تطفيف المكيال، ولما حاول الشيخ التدخل لمنع ذلك ثار أعضاء البعثة، وعندما ردوا عليه بطريقة خشنة كسر الشيخ المكيال على رأس أحدهم فقتل الرجل. [2]، وبذلك أنهي ضريبة الذل التي طالما تجرع السكان المرارة والإذلال بسببها إثر انهزام المجموعة على يد الشيخ وأتباعه، حيث تبعت ذلك معارك أخرى بين الجانبين.[3]

وعندما نشب القتال بين جيش الشيخ وبين الشماليين فيما بعد وقف دينينكوبي إلى جانب حلفائهم ضد قوات الشيخ الذي استطاع أن ينقل المعركة إلى داخل أراضي العدو، كما كان قد كون جيشا قويا من أهل فوتا قوامه العلماء الذين شكلوا القاعدة والسواد الأعظم من توربي طبقة النبلاء المتعلمين، ولهذا عرفت حركة الشيخ والثورة التي تبعتها في بعض المصادر التاريخية بثورة توربي، خاض الجانبان معارك دامية في أكثر من موقع كان النصر في معظمها حليف الشيخ وأتباعه، وبذلك تطور الوضع سريعا فبرز مصطلح الجهاد الذي أضفي على حركة الشيخ بعدا جديدا، وخلال الفترة الزمنية القصيرة التي استغرقتها دعوة الشيخ، والتي يقول المؤرخ سرى عباس بأنها بلغت سبع سنوات، استطاع قلب موازين القوى

[1] سرى عباس سه، استدراك ما فات، مصدر سابق.

[2] لهذه الحادثة اشتهر الشيخ سليمان بال في فوتا بأنه محطم مود حرم

[3] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجعالسابق،ص 60.

في المنطقة وانتقل من موقف الدعوة والدفاع إلى الهجوم، ولما اشتدت الضربات أخذت أمارات تصدع حكم دينينكوبي، رغم دعم القوى الشمالية لها، تلوح في الأفق.[1]

رفض الشيخ البقاء داخل المنطقة الإدارة الأمور بصفته قائدا منتصرا، بل مضي يخوض المعارك ضد الأعداء الشماليين الذي كان يعتبرهم الخطر الحقيقي الذي يهدد سيادة واستقرار البلاد حتى وقع شهيدا في معركة خاضها ضد أولاد الناصر الذين توجه لقتالهم بعد أن أغاروا على بعض القرى، ورغم تعدد الروايات فمن المرجح أن يكون استشهاده في منطقة "فر"بجزيرة تمبريجينغي (Tummberejiinge) وذلك سنة 1165هـ/ ١٧٥١م.[2]

رحل الشيخ سليمان راسن بال مفجر إحدى أنجح حركات الإصلاح الإسلامي في منطقة غرب أفريقيا ولكن بعد أن وطد لحركته أركانا قوية في جميع أنحاء بلاد فوتا تورو، وطارد فلول دينينكوبي وأمن جزءا كبيرامن الحدود الشمالية التي كانت مصدرا لمعاناة السكان، ومن ثم انحصر وجود ستيغي في المناطق الشرقية وبذلك دق المسمار الأول لإنهاء سلطة دينينكوبي[3].

وأما مفجر هذه الحركة الشيخ سليمان بال فقد جمع إلى جانب العلم والورع الشجاعة وبعد النظر الذي يتجلي في الطرح الذي اعتمده حيث لم يكتف بالتنديد بالسلطات القائمة وحلفائها من الأجانب وإنما ركز على ضرورة إيجاد البديل من خلال المطالبة بنصب إمام مسلم مؤهل يحل محل ستيغي وأعوانه من الأجانب في حكم فوتا تورو[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص60.

[2] نفسه، ص60.

[3] Joseph Ki- Zorbo ,Histoire de l'Afrique Noir d'hier à demain, librairie A. HATIER, Paris, 1968.

[4] –وثمة رواية أخرى تعزو سبب وفاته إلى حمي داهمته إثر إحدى تلك المعارك التي كان يخوضها في جبريل تمبري وذلك بعد أيام من إعداده المبادئ التي كان يرى ضرورة قيام الدولة المقبلة عليها، وهناك اختلاف آخر يتعلق بسنة وفاته التي يرى البعض بأنها كانت ١٧٩٩.

وقد وصفه المؤرخ الكبير سرى عباس سه في كتابه استدراك ما فات وما كاد أن يفوت من أخبار فوت بهذه الكلمات:

"رحم الله محيي الدين ومعتق الرقاب الشيخ سليمان بال بن السيد رشيد".

ولم يكن كذلك مجرد قائد عسكري ناجح بل كان يحمل مشروعا واضح المعالم لإقامة دولة العدل التي ركائزها الأساسية قواعد الشرع كما يتجلى ذلك في المبادئ الدستورية التي وضعها قبل استشهاده وطالب سكان فوتا الالتزام بها لاختيار الإمام المقبل الذي جعل وجوده الهدف المحوري للثورة التي فجرها بعد استعادة السيادة الوطنية والتخلص من ربقة الطغمة الحاكمة، كما سنرى ذلك عند دراسة نص الدستور فيما بعد.

المطلب الثاني:حكم دينينكوبي نشأته وتطوره

من الحدود الشمالية التي كانت مصدرا لمعاناة السكان، ومن ثم انحصر وجود ستيغي في المناطق الشرقية وبذلك دق المسمار الأول لإنهاء سلطة دينينكوبي.[1]

وأما مفجر هذه الحركة الشيخ سليمان بال فقد جمع إلى جانب العلم والورع الشجاعة وبعد النظر الذي يتجلي في الطرح الذي اعتمده حيث لم يكتف بالتنديد بالسلطات القائمة وحلفائها من الأجانب وإنما ركز على ضرورة إيجاد البديل من خلال المطالبة بنصب إمام مسلم مؤهل يحل محل ستيغي وأعوانه من الأجانب في حكم فوتا تورو.

وقد وصفه المؤرخ الكبير سرى عباس سه في كتابه استدراك ما فات وما كاد أن يفوت من أخبار فوت بهذه الكلمات:

"رحم الله محيي الدين ومعتق الرقاب الشيخ سليمان بال بن السيد رشيد.

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجعالسابق، ص22.

ولم يكن كذلك مجرد قائد عسكري ناجح بل كان يحمل مشروعا واضح المعالم لإقامة دولة العدل التي ركائزها الأساسية قواعد الشرع كما يتجلى ذلك في المبادئ الدستورية التي وضعها قبل استشهاده وطالب سكان فوتا الالتزام بها لاختيار الإمام المقبل الذي جعل وجوده الهدف المحوري للثورة التي فجرها بعد استعادة السيادة الوطنية والتخلص من ربقة الطغمة الحاكمة، كما سنرى ذلك عند دراسة نص الدستور فيما بعد.[1]

الحدث الثاني هو غزو كوليتنغيلا للبلاد وإقامة دولة دينينكوبي التي تعتبر من الأنظمة السياسية القليلة التي استطاعت بسط نفوذها على كامل التراب الفوتي ثم ما ترتب على ذلك من تحولات وأحداث في غاية الخطورة فيما يتعلق بملكية الأراضي والعلاقة مع القوى السياسية في المنطقة والانقلاب الكبير في الأوضاع الاجتماعية والدينية.[2]

وطبقا لرواية ويدال، فإن غزو كوليتنغية لبلاد فوتا تور يعود إلى سنة 1515م عندما دخل البلاد قادما من الجنوب الشرقي، بينما يقول آخرون بأنه جاء من الغرب، على رأس جيش جرار يتكون أساسا من بقايا أنصار وجنود والده الذين التفوا حوله بعد أن قتل أبوه على يد عمار كمجاغو أخي الملك الحاج أسكيا محمد، كما يقول السعدي وغيره من المؤرخين المسلمين الذين اعتبروا ذلك حدثا مهما مما جعلهم يستخدمون عبارات قاسية من قبيل "الملعون"لوصف تنغيلا الذي يرد اسمه في بعض المصادر "تنيض"[3].

وتتضارب الروايات فيما يتعلق بأصول هذه الأسرة، ففي الوقت الذي يذهب فيه البعض إلى أنهم من الماندينغ مستدلين بأنهم جاءوا من بلاد كان يحكمها هؤلاء من بين أدلة أخرى يسوقونها، فهناك كذلك خلاف حول انتمائهم الديني، لكن الأرجح أن القيادة كانت وثنية وإن كان لا يستبعد أن يكون من بينهم مسلمون فضلا عن حدوث تحول ديني واسع في وقت لاحق بسبب حكمهم لمجتمع شديد الولاء لمعتقده الديني كما يحدث غالبا في المجتمعات الإسلامية على غرار تلك الظاهرة التي أشرنا إليها فيما سبق.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص23.

[2] نفسه، ص23.

[3] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس، معهد الألسن، باريس، 1881م, ص22.

[4] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجعالسابق، ص23.

والخلاصة التي يمكننا الانتهاء إليها بعد هذا العرض السريع للتطور السياسي في بلاد فوتا تورو، هي أن الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به جعلها محط أطماع مختلف القوى الإقليمية وغير الإقليمية، إلى جانب نتيجة أخرى لا تقل أهمية وهي حركة التمازج والتزاوج بين مختلف الشعوب والأقوام التي قصدت المنطقة لدوافع سياسية أو اقتصادية أو غيرها لكن انتهى بها الأمر في نهاية المطاف إلى الانصهار في بوتقة المجتمع الحاضن الذي استطاع دمجهم واستيعابهم بصورة إيجابية كذلك، وهو أمر نرجح أن يكون العامل الديني المتمثل في الإسلام قد سهله لأنه ظاهرة تكررت في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي في العراق وفي شمال أفريقيا.

المبحث الرابع: مرحلة انتقال الحركة إلى دولة.

المطلب الأول : الآليات التي اعتمدها الشيخ سليمان بال

لم يترك استشهاد الشيخ سليمان بال ذلك الفراغ الكبير الذي كان يمكن أن يقع في مثل هذه الظروف التي غاب فيها عن مسرح الأحداث حين استشهد قبل أن يتسنى له إرساء قواعد الحكم من الناحية العملية، وهو وضع كثيرا ما يربك المشاريع الإصلاحية حيث كانت البلاد في مرحلة التحول القلق الذي لم يرس على صيغة محددة على يد صاحب المشروع أو تحت رعايته المباشرة [1].

وقد يعود الفضل في ذلك إلى بعد نظر القائد الذي تحسب للأمر ولم يترك للأحداث تحدد له مسار حركته بل وضع منطلقين مهمين:

1- ضرورة اختيار إمام يكون بمثابة قائد عام لسكان فوتا تورو يقيم نظاما إسلاميا ليحل محل الحكم الحالي حينما يتم الانتهاء من التخلص من نير حكم دينينكوبي لاحقا.[2]

[1] وربما هذا ا اضطر أهل فوتا إلى تقديم بعض التنازلات للسلطة التي كانت قد ضعفت كثيرا، بأن عرضوا على ستيغي سلى بوبو انحاي أن يبايعوه إماما شريطة أن يتخلى عن سلوك المحون ويلتزم بالنهج الإسلامي ولما قبل ذلك منهم بايعوه فنقلوه إلى وسط البلاد، وذلك قبل أن يعودوا ليختاروا إماما حسب الأصول الشرعية.

[2] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال،المرجع نفسه، ص 63.

2- تحديد الصيغة والمعايير والأسس العامة التي يجب أن يتم اختيار الإمام القادم على أساسها وذلك بشكل واضح ودقيق عن طريق نص مكتوب.[1]

ومن الناحية العملية لم يكتف الشيخ سليمان بتحديد شروط الاختيار واعتماد البيعة صيغة للتنصيب وإنما اتبع المنهج الذي وضعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله تعاليعنه)للاستخلاف من خلال ترشيح مجموعة من القيادات يجب أن يتم اختيار الإمام القادم من بين أعضائها، وهو الأمر الذي عمل سكان فوتا على تنفيذه بعد وفاة الشيخ سليمان بال.[2]

وكانت المجموعة التي رشحها تتكون من أربعة أشخاص هم: تفسير بل له ببلدة جابا، تفسير أحمد حماد ون في كنل، تشارنو عبد الكريم دف في سيث بال، والشيخ عبد القادر كان في أبي ، وهؤلاء كلهم علماء مشهود لهم بسعة العلم والصلاح، وكان القاسم المشترك بينهم ، فوق أذنهم ممن انخرطوا في صفوف الحركة الإصلاحية التي أنشأها الشيخ سليمان راسن بال، كونهم من زملائه من الذين تخرجوا مثله في جامعة بير التي سبقت الإشارة إليها، ولا يمتنع كذلك أن تكون المجموعة قد اتفقت على الخطة الإصلاحية أثناء وجودهم في مدرسة بر وتنفيذا لوصية الشيخ التي ضمنها في الوثيقة التي كان قد أعدها قرر أهل فوتا، الممثلون في أركان حركة الجهاد التي كان يقودها، إيفاد بعثة الاختبار الرجال الأربعة للتأكد من أيهم تنطبق عليه شروط الاختيار التي حددها الشيخ قبل استشهاده.[3]

وبعد القيام بعملية تقص وجمع للمعلومات من خلال مقابلة الرجال الأربعة وامتحانهم علميا وأدبيا، وقع الاختيار على الشيخ عبد القادر كان الذي لم يقبل منصب الإمامة إلا بعد جهود وضغوط قام بها السكان من خلال مجموعة أهل الحل والعقد التي كانت قد تشكلت من خلال ما أصبح يعرف في أدبيات النظام السياسي بفوتا تورو ب:

[1] نفسه، ص63.

[2] نفسه، ص64.

[3] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، نفس المرجع، ص 64.

"جاغرطى" (Jaagorde) وكان عددهم خمسين رجلا، ومن جانبه أخذ عليهم العهد وفق شروط طرحها[1].

وبعد جهود كبيرة وضغوط هائلة استطاعوا إقناع الشيخ عبد القادر كان بتولي المنصب بوصفه أول إمام يبايع وفق النظام الدستوري الجديد الذي وضع قواعده الأساسية الشهيد الشيخ سليمان بال وكان ذلك سنة 199 هـ - 1777م وكان يبلغ من العمر آنذاك خمسين سنة لأنه من مواليد 1727م-1140هـ، وكانت مبايعة الإمام عبد القادر بمثابة انقلاب هائل في فوتا تورو، واتخذ الإمام مدينة أبي مقرا له ونظرا لوقوعها في الطرف الشرقي للدولة، ألحت عليه القيادة السياسية في الانتقال إلي تشلون لاتخاذها عاصمة للدولة وذلك من أجل موقعها الجغرافي المتميز لوقوعها في قلب البلاد وبعيدا نسبيا عن المناطق الحدودية والشمالية منها بشكل خاص قبل أن يتحول عنها إلى كتلو لأسباب سياسية وأمنية.[2]

هكذا اختار أهل فوتا إقامة دولتهم على قواعد الإسلام، ليس من الناحية الفكرية والتصورية فحسب وإنما على مستوى الممارسة والرموز والشعارات، من هنا كان اختيار لقب "الإمام"لإطلاقه على رأس الدولة مع قدر من التحريف في اللفظ، وشاع استخدام لفظ الإمام على هذا النحو حتى في المصادر التاريخية: "ألمام"، ومع ذلك نلاحظ في بعض الوثائق الصادرة عن الإمام عبد القادر التوقيع باسم: "أمير المسلمين"كما نجد في وثيقة المرور (الصك) التي كتبها لصديقه النابغة أو أمير المؤمنين عندما كتب إلى على الكوري يطلب منه إرسال جياد يستعين بها في الجهاد في سبيل الله وقد اكتفى أئمة آخرون خطواته مثل الإمام يوسف[3].

ومن الشعارات والرموز التي استخدمت للتأكيد على المرجعية الإسلامية للدولة كذلك، اختيار العمامة رمزا للسلطة حين يتم تدوير العمامة على رأس من يتم اختياره لمنصب الإمامة وفي احتفال خاص كان يقام في مكان له طابع تاريخي، وكان العرف قد

[1] ورغم نفوذهم السياسي كان يحظر عليهم تولي منصب الإمامة تحت. أي ظرف من الظروف.

[2] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجعالسابق، ص 65.

[3] محمد سعيد باه ،المصدر السابق، ص65. 66

جرى بأن يتم تنصيب الملوك السابقين في "غنطي غ" (GANDE GODO) لكن عند قيام دولة الأئمة تم ذلك في "جبى دل" (JABBE DELO) الشهيرة في قرية "لجؤبؤ، وكان يتولى ذلك أفراد معينون دون غيرهم، وكان أول عمل قاموا به هو ختم القرآن الكريم وقراءة بعض المدائح النبوية من باب التبرك ، ثم شرع الإمام عبد القادر ينظم الدولة؛ لكن القسط الأوفر من جهوده انصب كثيرا على حماية المواطنين وتأمين حدود الدولة كما سنرى من خلال الفصل القادم، وأما الوثيقة التي وضعها الشيخ الشهيد ليتم اختيار الإمام على أساسها فكان نصها يعكس رؤيته للنظام الذي يجب أن تقوم عليه الدولة القادمة:

"إن النصر مع الصبر... إني لا أدري هل أموت في هذا القتال أم الا! فإذا مت فاطلبوا إماما عالما زاهدا لا يجمع الدنيا لنفسه ولا لعقبه، وإذا رأيتموه قد كثرت أمواله فاعزلوه وانهبوا أمواله، وإذا امتنع من العزل قاتلوه واطردوه لئلا يكون ملكا عضوضا يتوارثه الأبناء عن الآباء وولوا مكانه غيره من أهل العلم والعمل من أي القبائل كان ولا تتركوا الملك في قبيلة خاصة لئلا يدعوه وراثة بل ملكوا لكل مستحق...."[1]

وبدراسة هذه الوثيقة التاريخية التي نادرا ما نجد مثلها في تلك الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها وهو ما دفع بع الباحثين في تاريخ الدولة الإمامية إلى القول بتأثر قادتها بالفكر الخارجي على المستوى السياسي، نجد أن الشيخ قد استطاع أن يضمنها على قصرها، تلك المبادئ الدستورية التي كان يراها أساس النظام الإسلامي السياسي الذي كان يسعى إلى إقامته في فوتا تورو بعد إسقاط نظام حكم دينينكوبي:

1-ضرورة تنصيب قيادة سياسية (وجوب وجود السلطة).

2- تحديد دقيق وبصورة واضحة كذلك المواصفات الأساسية لتلك القيادة.

3- احتفاظ الشعب، من خلال ممثليه، بحق خلع القيادة ومحاكمتها.

4- رفض التسلط والدكتاتورية واستغلال المنصب لتحقيق مكاسب خاصة.

هـ- رفض احتكار السلطة من قبل قبيلة أو شريحة اجتماعية بعينها.

[1] المصدر نفسه، ص66

6- التأكيد على دور الشعب في مسألة تنظيم وممارسة السلطة.

7- ضرورة وجود أجهزة المراقبة التي تحفظ النظام وتوجهه حتى لا ينحرف عن النهج الذي اختط له [1].

المطلب الثاني: أبرز الأئمة وطبيعة نظام الحكم

أولا/ الشيخ المجاهد سليمان بال بن راسن:

يعتبر الشيخ سليمان بال من أهم الرجال الذين قادوا حركة إصلاحية ناجحة أحيت التجربة الإسلامية خلال القرون الخمسة الماضية، وهي دولة الأئمة التي عمرت قرنا كاملا، ومع ذلك بقيت شخصيته مجهولة؛ لأن حظه في التعريف على المستوى الداخلي والخارجي لا يزال ضئيلا بالمقارنة مع رموز إسلامية تقل عنها دورا وتأثيرا[2].

وفي هذا الإطار أحيي الجهود التي بذلها الدكتور محمد سعيد باه كما أسلفت.

المولد والنشأة:

ولد الشيخ سليمان راسن بال – على الأرجح – في مستهل القرن الثامن عشر الميلادي من أسرة علمية ودينية "أسرة تشارنو آسو بال "، درس القرآن الكريم في فوتا ثم توجه إلى موريتانيا لطلب العلم وهناك عاين الظلم الذي يرتكب في حق المستضعفين من سكان فوتا، مثل ظاهرة الاسترقاق والسلب والخطف التي شاعت عند بعض القبائل البيضانية الموريتانية، ثم رجع إلى فوتا بعد الغليان السياسي، وبعد ذلك توجه إلى جامعة (بير) والتقى فيها بشباب مسلمين متحمسين جاءوا من فوتا، وتعتبر جامعة (بير) المحضن الأم للثورة التي ستقام فيما بعد[3].

ثانيا/ الشيخ عبد القادر كن : الإمام العالم والمجاهد.

ولادته ونشأته:

---

[1] المصدر نفسه ،ص 69.68.67..

[2] يعقوبي علي: الدولة الإمامية في فوتا تورو، قراءات افريقية، العدد 9، المملكة العربية السعودية . الرياض يوليو سبتمبر 2011م، ص10.

[3] المرجع نفسه، 10.

إن وريث الشيخ سليمان بال في دولة الأئمة الإسلامية بفوتا هو الشيخ الامام عبد القادر كن ، وهو من عائلة متدينة ،فجده الحاج لمين مات lamine Matt كان من الشخصيات البارزة في عصره وقد حج إلى بيت الله الحرام ، ولد عبدل حمادي المعروف بعبد القادر كن حوالي 1726م وقد تلقى في فوتا وقد تلقى في فوتا مبادئ اللغة العربية وبعض العلوم الشرعية ، ثم رحل إلى كوكيkoki ليواصل التحصيل على يدي العالم الشيخ مختار اندومبي جوب ، وقد أذن له هذا الأخير بالالتحاق بجامعة بير وتعلم لغة الولوف ، وسيعود إليه مرة أخرى ويأخذ منه بعض العلوم وخاصة علوم الاسرار.[1]

انتخابه اماما

وبعد وفاة الشيخ سليمان بال سنة 1776 م انتخب الشيخ عبد القادر كن إماما بفوتا ولقب بأمير المؤمنين .وكما كان الإمام عبد القادر رجل حرب وجهاد ، فإنه كان رجل علم و ثقافة . وفي بداية حكمه ، انصب اهتمامه على تعمير البلاد ونشر العلم والثقافة و تشييد المؤسسات والمنشآت الدينية ، والسهر على مصالح رعاياه وتطبيق الشريعة الإسلامية في مجالات الحياة العامة[2].

ومن الناحية السياسية ،اتخذ الإمام جملة من التدابير نظم بها البلاد أحسن تنظيم نذكر منها:

- مصدر التشريع في البلاد الكتاب والسنة.
. المساواة أمام القانون
. احترام قانون الشريعة اومغادرةالبلاد
. القيام بمهمة الجهاد[3] .

- تعيين مسؤولين في كل مدينة شخص واحد يقوم بمهمة الإمامة في الصلاة و آخر يقوم بمهمة القضاءفي عهد الإمام عبد القادر كن تم تأسيس جامعة جولونthilogne التي أنتجت رموزا من علماء الشريعة و اللغة و الأدب بفوتا، كان الشيخ عبد القادر متحمسا

[1] نفسة، ص11.

[2] يعقوبي علي: الدولة الإمامية في فوتا تورو، المرجع نفسه، ص11.

[3] عمر باه المصدر السابق ص53.

لنشر قيم العدالة الاجتماعية ورفض نظام الرق والعبودية إلا ان بعض القبائل في موريتانيا التي كانت تمتهن تجارة العبيد عمدت إلى اغتياله عام 1881م.[1]

ثالثا/ طبيعة نظام الحكم:

في عام 1776م قاد الشيخ العالم الفقيه سليمان بن راسين بال حركة إسلامية إصلاحية ضد دولة دينيان كوبي، وأسس مملكة إسلامية يحكمها العلماء باسم (الإمام)، كانت أول حكومة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية في «فوتا تورو»، وقاموا بنشر الإسلام في المنطقة وبناء المساجد وتشجيع مجالس العلم، كما حرموا ممارسة النخاسة في مملكتهم، كما قال بيتون (Betoun) أحد المستعمرين المعاصرين للإمامية: «رفض الإمام ملك بول (فلان) هدايا الشركة، وحرم بيع رعاياه، ومنع مرور قوافل العبيد في دولته») [2].

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 45.

[2] عمر باه المصدر السابق ص55

الفصل الثاني

الدولة الإمامية من التنظير إلى الممارسة

المبحث الأول: قــراءة في ميثاق الــدولة الإمــامية

المبحث الثاني:التحــديات والانجــازات .

المبحث الثالث:

انعكاسات الدولة الامامية على المستوى الداخل

الفصل الثاني: الدولة الإمامية من التنظير إلى الممارسة

المبحث الأول: قراءة في ميثاق الدولة الإمامية

المطلب الأول: شروط اختيار الامام

وقد اشترط الشيخ في الإمام الذي يخلفه ثلاثة شروط، وهي:

1 -أن يكون حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا.

2 -أن يكون ذا باع طويلة في الفقه وعلوم الشريعة.

3 -أن يكون متقنا لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر الخليل، وتحفة الحكام لابن عاصم الأندلسي [1].

ثم أردف الشيخ سليمان بن راسين على هذه الشروط بوصية يقول فيها: «فإن مت فانظروا إماما عادلا زاهد ورعا لا يجمع الدنيا لنفسه، ولا لعقبه، وإذا رأيتموه قد كثرت أمواله فاعزلوه، وإذا امتنع فقاتلوه واطردوه، لئلا يكون ملكا عضوضا يتوارثه الأبناء، وولوا مكانه غيره من أهل العلم والعمل من أي القبائل، ولا تتركوا الملك في قبيلة خاصة لئلا تدعي الوراثة، بل ملكوا كل مستحق») [2].

المطلب الثاني: التنظيم الدستوري

وفي اللحظات الأولى من تسلم الإمام عبد القادر كان الحكم سارع إلى تحديد الأساس الذي سينطلق منه لممارسة وظيفة الإمام حيث جاء في أول خطاب وجهه إلى أركان السلطة:

" ...فليتعاهد العلماء على أنهم لا يرونني في معصية إلا ونهوني عنها، فتعاهدوا على ذلك) ثم قال فليتعاهد جاغرطى (أهل الحل والعقد) وهم الملوك فقط بلا علم (غير متعلمين) فليتعاهدوا على أن أهل العلم إن اتفقوا على شيء وأمروهم به أو نهوهم عنه أن يمتثلوا أو يجتنبوا (تعاهدوا على ذلك) ثم فليتآخ يرلابي وبوسيابي (منطقتان) ويتخذ أحدهم الآخر أخا

[1] عمر باه الثقافة العربية الاسلامية في الغرب الافريقي ، ط1 .1993م،مؤسسة الرسالة،بيروت،ص40،بتصرف.

[2] موسى كمرا زهور البساتين في تاريخ السوادين ،ج 1 ص522 .

ويتعاملون بالتفضل والمباسطة والممازحة، (فتأخرا من يومئذ) ... فقال لأنهم قبيلتان قويتان فإن اجتمعت قلوبهما تمت القوة لنا..."[1].

وبدراسة هذه التوجيهات التي كانت بمثابة مبادئ دستورية جاءت التكمل الوثيقة الأساسية التي وضعها الشيخ سليمان بال نستطيع استخلاص ما يلي:

1- حدد الشيخ عبد القادر، بعد أن أصبح إماما لأول دولة تقوم في البلاد على أساس الإسلام، موقفه من أنه لا بد من وجود رقابة يمارسها الشعب من خلال ما يمكن أن نسميه بالتعبير الحديث بمجلس الدولة، ونلمح في ذلك بأنه كان يسير على خطي الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) لما استخلف.[2]

2- قسم القيادة السياسية التي تسانده في ممارسة الحكم إلى جانب مهمة المراقبة الدستورية، إلى مجلسين:

- مجلس الشورى الذي يتكون من العلماء والفقهاء الذين يتولون المراقبة المباشرة على الإمام وعلى الدولة.

- المجلس السياسي العسكري الذي يشكله النبلاء ورؤساء المناطق من غير أهل العلم الذين هم أهم الحل والعقد فيما يتعلق بانتخاب الإمام لكنهم من حيث الترتيب الدستوري يأتون بعد المجلس الأول ويخضعون له ويلتزمون بتنفيذ السياسات التي يحددها انطلاقا من الرؤية الشرعية.[3]

3- وضع نوعا من التحالف الاجتماعي والسياسي بين أكبر شريحتين اجتماعيتين في المنطقة، وهنا أيضا نلمح توظيف الإمام لمبدأ التأخي الذي وضعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) لبناء المجتمع المدني عندما هاجر إلى المدينة واستطاع بذلك القضاء على تلك

[1] موسى كمرا زهور البساتين في تاريخ السوادين, المصدر السابق, ص227.

[2] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 66.

[3] نفسه، ص66.

الحزازات الاجتماعية والثارات التاريخية التي كانت تقوم بين الأوس والخزرج وتحيل حياتهم إلى سلسلة من الحروب، وهو الوضع الذي كان الإمام الجديد يحاول أن يعالجه.[1]

ومع شراسة التحديات الداخلية التي كانت دولة دينينكوبي تمثلها عن طريق فلولها فإن التحديات الآتية من الخارج لم تكن لتقل خطورة وكانت تتمثل في تلك القوى الإقليمية المحيطة بفوتا من الجهات الأربعة والو برك في الغرب ومملكتا كجور وجلف في الجنوب والبنابرة في الشرق وكان أخطر هذه التحديات تتمثل في البياضين من الشمال ، و إلى جانب التحديات السياسية والعسكرية التي تشكلها القوى الداخلية والخارجية معا، كانت توجد معضلة أخرى لا تقل أهمية وتتمثل في الأراضي الزراعية الشاسعة التي مثلت دائما مصدر صراعات دامية بين طبقات المجتمع .. لكن الإمام ارتأى أن يبدأ بأكثر تلك التحديات إلحاحا وهي فلول سلطة دينينكوبي المتمركزة في المناطق الشرقية ، فقرر أن يرسل إليها حملة عسكرية وفي تلك المعارك قتل سليانجاي الصغير، وبذلك أفلت حكم فوتا من أيديهم ولم يعودوا يسيطرون إلا على منطقة ضيقة تقع على الضفة الأخرى من نهر السنغال [2].

ويبدو أن الإمام اتبع نوعا من التنظيم الإداري المستمد من التجارب الإسلامية التقليدية في مجال الحكم كما يمكن أن نستشف ذلك من بعض الوثائق كما نجد مثالا على ذلك في خطاب التوصية التي أملاها على كاتبه الشيخ سرى حسن لفائدة صديقه العلامة محمد النابغة الأغلالي هو عائد من زيارة قام بها للإمام وقد ورد فيه

". إلى من سيقف على هذا الصك من قاض أو مفت أو وزير أو رئيس قرية... "[3].

وفي إطار هذه السياسة السكانية العسكرية المزدوجة، أقام الإمام عبد القادر عدة قرى ومدن على امتداد نقاط العبور في نهر السنغال وفي الأنهر الصغيرة المتفرعة عنه، واعتمد في هذا المجال بالأساس على تلك المجموعات التي كانت تؤدي دور المحاربين في ظل حكم

[1] نفسه، ص67.

[2] عمر محمد الصالح، الثقافة العربية الاسلامية في الغرب الأفريقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992،ص55.

[3] موسى كمارا، زهور البساتين، مصدر سابق، ص532.

دينينكوبي ونجح الإمام في استمالتهم للانضمام إلى الدولة الجديدة، ومقابل دورهم العسكري في المساهمة في تأمين حدود البلاد أقطع لهم أجزاء من الأراضي الزراعية.[1]

وفي الجانب الآخر اعتمدت الدولة سياسة تعليمية واسعة تقوم على عدة برامج، وكانت تسعى من خلال ذلك إلى جملة من الأهداف الإصلاحية كانت الدولة تحتاج إليها باعتبارها مطالب أساسية، وتندرج هذه السياسة في إطار برنامج الإصلاح الفكري الذي طرحه الإمام عبد القادر.[2]

ونتيجة لهذه السياسة الناجحة في المجالات الثلاثة العسكرية والاقتصادية السكانية والتعليمية الفكرية والتي طبقها النظام الجديد خلال فترة السنوات الثلاثين التي أمضاها الإمام عبد القادر في منصب الإمامة، أصبحت دولة الأئمة القوة الأولى في المنطقة فبدأت دائرة تأثيرها تتسع وبشكل مطرد.[3]

وفي سنة 1213هـ - 1789م قرر الإمام التوجه بنفسه إلى بلاد "كجور"الواقعة إلى جنوب بلاد فوتا تور على رأس جيش كبير لمهاجمة مملكة كجور التي سبق للإمام أن درس فيها أيام كان طالبا في مدرسة بير الشهيرة، وأما الدوافع التي حدت بالإمام إلى اتخاذ قرار بهذه الخطورة فتتضارب الروايات التاريخية حولها، ومهما يكن من أمر فإن استعراض تلك الروايات التاريخية المختلفة، يمكن أن توصلنا إلى اكتشاف وجود عدد من العوامل المتضافرة وليس سببا واحدا فقط، ومن أبرز هذه الروايات:

- كانت مملكة كجور، رغم انتشار الإسلام فيها على نطاق واسع، لا تزال وثنية على مستوى الدولة على الأقل فأراد الإمام أن يدعم حركة انتشار الإسلام فيها، وبهذا الاعتبار يكون الدافع الأساس مندرجا في الخطة العامة للدولة الإسلامية والتي تتمثل في نشر الدعوة إلى الإسلام [4].

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 69.

[2] المرجع نفسه، ص70.

[3] نفسه، ص70.

[4] وفي هذا الإطار يندرج مقتل أحد أعلام بلاد فوتا تورو وهو الإمام حماد إبراهيم (إبرا) باه الذي كان من أكبر علماء المنطقة وكان الإمام عبد القادر يعتمد عليه في الإفتاء رغم أنه سبق أن تتلمذ عليه الإمام حماد، وكان قد توجه إلى

يمثل التجاء أمير والو برك التي قضى الإمام على حكمه، إلى مملكة كجور عاملا مهما من عوامل التوتر بين المملكة ودولة الأئمة، وخاصة أن أمير والو لم يكن لاجئا فحسب وإنما كان يسعى إلى الحصول على الدعم من حاكم كجور لاستعادة مملكته التي طرده منهاالإمام.[1]

– الضغط الشديد الذي كان يمارسه النظام الحاكم على علماء كجور مما جعلهم يئنون تحت كابوس حتى اضطروا للاستنجاد بالإمام عبد القادر الذي سارع إلى التحرك من أجل أداء واجب الدفاع عن مسلمين يتعرضون للاضطهاد ، ومهما يكن من أمر، فقد اتخذ الإمام قراره الجريء فتوجه إلى كجور لكنه انهزم فوقع في الأسر إلى جانب بعض كبار قواده أمثال عال دندو كان وغيره ثم عادت فلول الجيش المنهزم إلى أرض فوتا.[2]

وأما أسباب هذه النكسة العسكرية الخطيرة والأولى من نوعها منذ أن بدأ الإمام حملته الجهادية، فتشير المصادر إلى عامل الخدعة التي وقع جيش فوتا ضحية لها عندما دخل به الدليل، الذي كان عميلا لأعدائهم، طريقا غير مطروق أنهك الجنود وسهل بالتالي الهزيمة.

ومن جانب آخر يشير باحثون آخرون إلى دور إمدادات السلاح التي حصلت عليها قوات تمل من طرف تجار الرقيق الفرنسيين الذين كانوا يرون في دولة الأئمة خطرا داهما يهدد مصالحهم على ضوء سياسة الدولة التي كانت تحرم المتاجرة بالبشر، وأما الإمام فقد ظل في

كجور في مهمة دعوية مع مجموعة من العلماء والطلاب، ويقال بأنه نظم هناك حركة جهادية، وتم اغتياله هو وبعض أصحابه وهم يصلون العيد، ويستشف من بعض الروايات التاريخية المعلقة بمقتله أن الإمام عبد القادر أراد أن يثأر لمقتله وهو الذي جزم به سرى عباس نصا وأشار إلى أن الإمام حماد أمضي عدة سنوات وتقاتلا مدة مديدة"يصاول دم حملي انغوني (DAMEL HAMADI NGONE) قبل أن يتمكن الأخير من قتله وجماعة كبيرة كانوا معه غيلة؛ وللمزيد من سيرة الإمام حماد يمكن الرجوع إلى العالم الشاعر الشيخ بن عمر لي في كتابه : "سواقي الحوض".

[1] المرجع نفسه، ص71.

[2] نفسه، ص71.

الأسر لمدة عامين أو أقل أو أكثر ثم أطلق سراحه، بعد أن كان أهل فوتا قد بايعوا إماما آخر في شخص الإمام حماد بال ونهبوا منزل الإمام عبد القادر [1].

جرت عمليات الاستخلاف سلسلة بصورة عامة، ووفرت المجالس التي كانت بمثابة الهياكل الأساسية للنظام السياسي لدولة الأئمة وهي مجلس الأعيان (Jaagorde) ومجلس الصلحاء الذي كان بمثابة مجلس الشورى الوطني ومجلس الشيوخ (Batu Mawbe)، وهذا هو الذي يفسر بقاء نظام الإمامة رغم السرعة النسبية التي كان يتم بها خلع الأئمة، كما يرمز إلى ذلك استخلاف الإمام يوسف بال لما لا يقل عن (8) مرات، بالإضافة إلى عدد الأئمة الذين تعاقبوا على سدة الحكم خلال فترة زمنية تتجاوز القرن وبلغ عددهم "34"إماما[2] .

وإن كنا نستطيع أن نقسم الإمامة إلى فترتين تضم الأولى حوالي (60) سنة من قيام الدولة، واتسمت هذه الفترة بازدهار الدولة واطراد وظائفها واستقرار المجتمع وانتشاء حركة الإسلام رغم وجود بعض الهزات التي كانت تحدث من حين لآخر بسبب التنافس على منصب الإمامة، وأما الفترة الثانية فقد كان وضع الدولة فيها متأرجحا إلى درجة التعطل في بعض الأحايين، كما تدل على ذلك تلك الفترات التي كانت الدولة فيها تجتاز مراحل فراغ السلطة عندما كان يتم خلع الإمام دون أن يكون بالإمكان تعيين بديل له كما حدث في الفترة ما بين سنة 1866م.1898م عندما تم خلع الإمام راسن محمود وقد تكرر ذلك في أخريات الدولة.[3]

[1] وهنا أيضا يصعب الحصول على دليل قاطع من الوجهة التاريخية يؤكد لنا لماذا أطلق دمل سراح الإمام، وإن كنا لا نستبعد أن كون الإمام قد درس في المنطقة قد أدي دورا كبيرا في هذا المجال وذلك على ضوء الرواية المتداولة التي تقول بأن الإمام عبد القادر كان قد دعي لوالدة دمل أيام كان طالبا في بير لأنها كانت تعاني من عسر الإنجاب ومن ثم رزقت بولد ويقل بأن ذلك المولود هو دمل، ولما تعرفت عليه طالبت بإطلاق سراحه.

[2] سري عباس سه، استدراك ما فات وما كاد أن يفوت في تاريخ فوت، مط، المعهد التأسيسي الأفريقي جامعة شيخ أنت جوب ، دكار ، ومكتبة محمد سعيد باه، ص89. ، وانظر كذلك موسى كمار

[3] المرجع نفسه، ص91.

وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت أمارات ضعف الدولة تتضح وذلك نتيجة عوامل عدة تضافرت، فبالإضافة إلى الانشقاقات الداخلية التي كانت تطفو على السطح بين فينة وأخرى، بسبب التنافس الذي كان يقوم بين الأسر الكبيرة أو نتيجة الأطماع الشخصية التي تصعب السيطرة عليها، أدت عوامل ثلاثة أخرى دورا محوريا في إضعاف الدولة وإسقاطها في نهاية المطاف وهي:

1- حركة المهدوية التي فجرها الشيخ محمد حماد باه بمنطقة تورو الواقعة في الأجزاء الغربية من البلاد، والذي ادعى المهدوية وشن حملة انتقاد لاذع على الدولة حتى اضطر الإمام يوسف سرى لي إلى محاربته واستطاع القضاء على حركته وكان ذلك سنة 1224هـ 1814م وتركت هذه الهزة خدوشا في جسم الدولة وإن عجزت عن إسقاطها كما كان يسعى مؤسس الحركة المهدويةالتي اتهم بأنه في نهاية حياته قد عمل للاستعمار الفرنسي الذي جاهد ابنه ضده حتى الشهادة. [1]

2- جاءت الضربة الأخرى على يد الشيخ عمر تال بعد عودته من رحلته الطويلة في غرب أفريقيا وفي بلاد المشرق الإسلامي حيث حج وزار كلا من مصر وبلاد الشام وتركيا، ولما عاد إلى فوتا بدأ يدعو إلى التوجه إلى شرق المنطقة من أجل بدء الجهاد من هناك، وأدت حركته في نهاية المطاف إلى نزوح واسع النطاق وخاصة بين الطبقات المتعلمة والأسر الدينية، وكان لذلك فيما بعد أثر سيئي في المجال الثقافي أدى إلى نتائج سلبية كثيرة منها حدوث انتكاسة خطيرة لتلك المسيرة العلمية العظيمة التي كانت دولة الأئمة قد دشنتها كما سنرى لاحقا . [2]

3- تمثلت ثالثة الأثافي في الاستعمار الفرنسي الذي كان يحوم حول المنطقة ويسعى إلى اختراقها، ثم استطاع أن يوجد لنفسه موطئ قدم داخل أراضي فوتا تورو عندما ضعفت

---

[1] سرى عباس، المرجع نفسه، ص92.

[2] ولد الشيخ عمر الفوتي تال ببلدة هلوار في غربي فوتا تورو حوالي سنة 1212هـ 1795م ووالده ممن زامل الإمام عبد القادر كان في بر، وبعد جولة طويلة في العالم الإسلامي وإقامة دامت خمس سنوات في صكتو وبعد جهاد طويل استطاع إقامة دولة إسلامية في السودان الأوسط، خاض معارك شديدة مع خصمه أحمد مأمد في انيورو كما حارب الفرنسيين، قتل في إحدى المعارك ضد أهل ماسن وذلك سنة 1271هـ-1864م في مغارة ديغمبري بجمهورية مالي، ويعتبر من أهم الشخصيات الإسلامية في أفريقيا وقد نال حظا وافرا من الاهتمام الأمر الذي جعل بعض الناس يربطون الوجود الإسلامي في المنطقة بشخصه، وإلى جانب الجهاد كان الرجل صاحب قلم ترك إرثا كبيرا وغنيا من المؤلفات.

الدولة فنشطت حركتها التجارية من جديد عبر نهر السنغال الذي كان يمثل رمزا كبيرا للدولة، وجاء ذلك بعد أن كان الإمام عبد القادر قد حرم على الشركات الأوروبية ممارسة النخاسة في بلاده ومنع سفنها حق الملاحة عبر النهر، وكان بناء ثلاث محطات عسكرية في غرب ووسط وشرق فوتا بمثابة تثبيت للوجود الفرنسي الذي كان يتمركز آنئذ بمدينة سان لوي عند مصب نهر السنغال في المحيط الأطلسي.[1]

فبعد أن أشار أحد الباحثين في الوجود الإسلامي بالمنطقة إلى الدور الذي أداه الاستعمار الصليبي في تحطيم تجربة الحركة الإسلامية التي كانت على وشك أن تنجز مشروعها الإصلاحي العام ونشر الإسلام في كل مناطق غرب أفريقيا، خلص إلى القول، وهو متحسر لما آل إليه الوضع في المنطقة ، "ولو انتشر الإسلام على يد سلطة زمنية تسهر عليه وترعاه لما عرف ما يعرفه اليوم من تحريف وتشويه"[2].

ورغم النهاية الفاجعة التي انتهت إليها هذه التجربة الرائدة حتى على مستوى العالم الإسلامي في حينه، فإن دولة الأئمة مثلت نقلة نوعية حاسمة وغائرة الأثر وخاصة أنها عمرت فترة طويلة نسبيا يبلغ حين نجمع فترتي الحركة والدولة إلى قرن ونصف على وجه التقريب طبقا لكثير من المصادر [3].

المبحث الثاني:التحديات والانجازات.

المطلب الأول: التطورات الداخلية والخارجية

مضت ثلاثة قرون ظل فيها الإسلام يتغلغل في النسيج الاجتماعي بالمنطقة بشكل محدود وهادئ جدا، لأنه كان يقوم على الجهد الفردي، وربما هذا الذي يفسر وجود تلك الثغرة التاريخية التي جعلت بعض الباحثين يربطون دخول الإسلام إلى المنطقة بحركة المرابطين، بينما الصحيح هو أن حركة المرابطين مجرد حلقة، وإن كانت مهمة جدا، في مرحلة الانتشار

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص74.

[2] عبد القادر تسليمنك سيلا، منعطفات الصحوة الإسلامية في الساحل السنغال نموذج، مكتب الدعوة و الدراسات و البحوث الإسلامية، دم، دت، ص95.

[3] فنسان مونتاي، الإسلام في أفريقيا السوداء، ترجمة الياس حنا الياس، دار أبعاد، بيروت، 1992م، ص70.

والتوسع أو التجذر، وليس أدل على ذلك من كون بعض ملوك المنطقة قد شاركوا يوسف بن تاشفين، على رأس فرق عسكرية، في وقعة الزلاقة بالأندلس والتي انتصر على جيش ألفونس السادس وذلك سنة 1086م 479هـ [1].

ولقد جعل هذا التواصل النشط بين سكان وادي نهر السنغال وبين جيرانهم في المناطق الشمالية أحد حكام دولة دينينكوبي يتوجه إلى أحد السلاطين المغاربة لطلب المساعدة العسكرية في القرن السادس عشر الميلادي ، لكن الانطلاقة الصحيحة ستأتي مع تلك الواقعة التي ستهز المنطقة هزا عنيفا ويجد فيها المؤرخون ما كان يعوزهم ليستطيعوا بالتالي التأريخ للوجود الإسلامي بالمنطقة بصورة دقيقة، وذلك عندما اعتنق ملك بلاد التكرور وار جابي بن رابيس انجاي، الإسلام على يد بعض المرابطين، نهاية القرن الرابع الهجري أو بداية القرن الخامس، لكنه لم يكتف بالدخول في حظيرة الإسلام وحده طواعية وإنما أخذ يطبق الشريعة في مملكته وحث رعاياه على الدخول في الإسلام وبذلك اتسعت رقعة الإسلام وتقوى وجوده كذلك [2].

وبسقوط غانا 1079م على يد الأمير الجديد أبي بكر بن عمر الذي خلف يحيي بن إبراهيم الذي توفي على إثر جرح أصيب به في إحدى المعارك التي جرت على أبواب العاصمة الغانية، إلى جانب المجاهد الكبير عبد الله ابن ياسين، أصبح الإسلام سيد الموقف، ولكن للأسف الشديد لم يواصل المرابطون زحفهم نحو الشرق والجنوب داخل العمق الإفريقي وإنما استداروا باتجاه الشمال عبر الصحراء ليصلوا بحدود إمبراطوريتهم الناشئة إلى حدود تونس شرقا وفرنسا في الغرب ،ومما يدل على حجم الأثر أو البعد الإسلامي في حركة المرابطين تلك الرسالة الجوابية التي بعث بها الخليفة الفاطمي المستظهر بالله إلى الأمير يوسف بن تاشفين

[1] محمد الغربي، "الجذور الإدريسية لإمبراطورية غانا والأصول السنغالية للدولة المرابطية"، دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد "249"المملكة المغربية، 1981م، ص74

[2] أبو بكر خالد باد، صور من كفاح المسلمين في أفريقيا الغربية، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط ،1980م، 78ص.

الذي تسلم القيادة فيما بعد، يشكره فيها على جهوده لنشر الإسلام وإخضاع هذه المنطقة لسلطان الخلافة. [1].

مرحلة الازدهار:

شكل النصف الأول من القرن الرابع الهجري نقطة انطلاق لمرحلة ازدهار الإسلام في منطقة "فوتا تورو"، وذلك عندما نجحت حركة أسلمة الشعوب التي كانت تسكن المنطقة وتحولت القيادة السياسية إلى دعاة ومجاهدين يتحمسون لنشر الإسلام ومبادئه، وسرعان ما اعتنق بعض الملوك والأمراء الإسلام على أيدي التجار والعلماء المتجولين الذين قاموا بدور المساعدين الإداريين داخل هذا البلاط أو ذلك [2].

وهكذا شكلت هذه القرون الأربعة (11-14) أوج ازدهار الوجود الإسلامي بمنطقة فوتا تورو وداخل حوضي النيجر والسنغال عموما، إلى أن جاءت تلك الانتكاسة نتيجة الغزو الواسع الذي قام به كولي تنغيلا القائد الفلاني الذي غزا المنطقة وجعلها تستقل من جديد،وذلك نظرا لأنه كان وثنيا. واجتاح المنطقة التي كانت عملية أسلمتها قد أوشكت على الانتهاء [3].

[1] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان،تاريخ السودان،تحقبق هوداس،معهد الأندلس، 1881م، 54.

[2] أبو بكر خالد باد، صور من كفاح المسلمين في أفريقيا الغربية، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط ، 1980م، ص88.

[3] لا يزال ثمة جدل واسع حول المعتقد الديني لهذا الملك وأولاده ، وفي مقابل الرأي الغالب بأنهم كانوا وثنيين، فقد بدأت بعض المصادر المعاصرة تدعو إلى مراجعة هذا الحكم وتذهب إلى أنهم كانوا مسلمين ضعيفي الالتزام وقليلي الممارسة، فهذا الطرح يجد سنده في وجود ملوك من الأسرة وصفوا بالتدين والصلاح والعدل كما يورد المؤرخ الشيخ موسى كمارا الذي شبه الملك سلي بوبو موسى المعروف باسم سلي انحاي بالملك الصالح منسا موسي وهو رأي نجده قبله عند سرى عباس سه الذي يقول عن حكمه: وملكها (بلاد فوتا تورو) أربعين سنة في حسن سياسة وإخماد نيران الفتن وكذلك غل يد كل سارق وقاطع ولص واستعمل الحق وأنف الباطل في حياته ...، أما تنغيلا فقد جزم محمود كعتو بكفره في تاريخ الفتاش وذلك عندما تعرض لسبب قتله حيث يقول" :وفي الثامنة عشر أي بعد التسع مائة من الهجرة قتل تنيض الكذاب الذي ادعى النبوة والرسالة لعنة الله عليه | "...

المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية

إن الصورة التي رسمناها ونحن نستعرض الظروف التي كانت سائدة في منطقة فوتا تورو عشية قيام تلك الحركة الإصلاحية التي تحولت في غضون ربع قرن إلى دولة تتمتع بكل مواصفات النظام الإسلامي من حيث التنظير والممارسة، تدل على مدى ضخامة التحدي الذي كان على رواد الحركة أن يواجهوه، لكن التحدي كان كذلك متعدد الأبعاد، لقد كان داخليا بمقدر ما كان خارجيا، كان عسكريا بمقدار ما كان سياسيا وفكريا، وثمة نوع آخر من التحدي كان يتمثل في البنية الاجتماعية والنفسية لأهل فوتا والتي كانت تتطلب إعادة البناء وفق الرؤية الجديدة التي تتبناهاالدولة، ويتجلى ذلك في النظام الطبقي الذي كان من أركان النسيج الاجتماعي وصعوبة الخضوع للسلطة...[1]

كان هذا الإنجاز من الأهمية بحيث كان له الأثر الواسع على مستوى المنطقة كما غذي العاطفة الدينية لأكثر من قرنين وولدت في أجوائه عدة حركات تصحيحية من أبرزها الحركة الإصلاحية التي قامت بشمال نيجريا وأدت إلى ميلاد دولة صكتو بقيادة الشيخ عثمان محمد فودية والتي قامت سنة 1804م عندما بويع خليفة، وامتدت من نيجريا حتى إقليم سيغو في دولة مالي الحالية حسب بعض الروايات التاريخية التي تعتبر الدولة التي أقامها الشيخ أحمد بن حمدي لبو بريتابعة لدولة صكتو [2].

وفي هذا السياق يلاحظ أن حركة الأئمة في فوتا تورو كانت بمثابة الشرارة التي فجرت سلسلة من حركات الجهاد والإصلاح في غرب أفريقيا وخاصة في تلك المناطق التي تسكنها الشعوب الفلانية والتي كانت هاجرت أصلا من فوتا تورو وخصوصا في منطقة سنغامبيا التي برز فيها الشيخ ماباجخو باه (809-1867) الذي استطاع إقامة إمارة إسلامية على ضفاف نهر سالوم وغير هؤلاء ، إيقاف حركة الرق، ومن أكبر الإنجازات التي حققتها دولة الأئمة على المستوى الخارجي، القضاء على تجارة الرقيق التي كان الأوربيون يمارسونها بالتعاون مع بعض الإقطاعيين المحليين، حيث كانت السياسة التي انتهجها حكم دينينكوبي تشجع على ذلك،

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 77.

[2] أبو بكر خالد باه، رسالة الإسلام ودورها في الثقافة الإفريقية، إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية، الايسسكو، الرباط، 1408 هـ1987م، ص65.

وتعاملوا في هذا الصدد مع عدد من القوى الخارجية من موريتانية ومغربية وأوروبية ، ولذلك جعل الإمام عبد القادر كان محاربة هذه الظاهرة من الأولويات التي يجب التركيز عليها، ويتضح ذلك من الرسالة شديدة اللهجة التي وجهها إلى المفوض التجاري الفرنسي المقيم بمدينة سان لوي بتاريخ1789 / 3 / 1م جاء فيها:

"نحن نحذركم بأن كل أولئك الذين سيأتون إلينا من أجل ممارسة تجارة البشر سيقتلون وكذلك الحال إذا لم تعيدوا إلينا أبناءنا الذين في أيديكم (ثم اقتبس الآية الكريمة) "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" نحن لا نريد إطلاقا أن تشتروا المسلمين لا من قريب ولا من بعيد ونكرر القول إذا كانت أهدافكم دائما هي شراء المسلمين فعليكم أن تمكثوا في بلادكم ولا ترجعوا إلى بلادنا، فليتأكد كل الذين سيأتون إلى بلادنا لهذا الغرض أنهم سيلقون حتفهم؛ من إمام فوتا عبد القادر حمدي".[1]

توسعة رقعة الإسلام، وبعد أن كانت فوتا مسرحا للقوى الأجنبية المحيطة ومحط أطماعها، استطاعت دولة الأئمة أن تقلب الوضع، وفضلاعن الجانب الأمني كان ثمة هدف آخر أهم في نظر الأئمة ألا وهو الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام في المناطق المجاورة، ويتجلى ذلك في الأسلوب الذي كانوا يعتمدونه في حركتهم حيث كان أول قرار يتخذونه بعد تحقيق أي انتصار هو إلزام الناس باعتماد الإسلام نظاما للحكم، كما أنهم لم يستخدموا العامل العسكري فقط وإنما كانوا يبعثون بالدعاة إلى تلك المناطق التي تقع خارج حدود الدولة السياسية بهدف نشر الإسلام والتعريف به، كما يؤكد كذلك مقتل بعض العلماء الذين أرسلتهم الدولة إلى كجور، وشكل سببا من أسباب التوتر بين الجانبين.[2]

فعلى الصعيد الداخلي حققت دولة الأئمة سلسلة من الإنجازات يمكن الإشارة إلى المجالات الأساسية منها:

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع السابق، ص 79.
[2] المرجع نفسه، ص80.

1- القضاء على حكم دينينكوبي الذي كان يقوم على التسلط والبغي وتمكين الأجانب فضلا عن كونه نظاما وراثيا تحول إلى بؤرة اللصراع تجرع السكان بسببه ألوانا من الويلات كان أبرزها تلك الإتاوات التي كانت تفرض على السكان لصالح الحكام الشماليين، ولما قامت دولة الأئمة خلصت فوتا تورو من نظام ستيغي الذي كان قد أصبح مجرد أداة طيعة في أيدي جيرانه من الشمال والشرق.

2- وضع نظام حكم إسلامي يقوم على الشورى مبدأ للسلطة، وما يتطلبه ذلك من إيجاد مؤسسات الدولة بمعيار ذلك الزمان، وتمثل في

أ- التحديد الدقيق للمواصفات التي يجب اختيار رأس الدولة الإمام على أساسها وطرق مراقبته حتى لا يحدث أي انحراف أو تقليل فرص حدوث ذلك كما نجده في الوثيقة التي أعدها الشيخ سليمان بال.

ب . إيجاد الهياكل الضرورية المساندة التي تتولى مهام تشبه إلى حد كبير تلك التي تناط اليوم بمجلس الدولة أو مجلس الدستور كما نجد ذلك في المجالس التالية: مجلس الصلحاء، مجلس جاغورطي (أهل الحل والعقد) الذين تعود إليهم مهمة اختيار أو إجازة الترشيحات، المجلس الأعلى (الشيوخ).[1]

- التقسيم الإداري الذي اعتمده الإمام، حيث قسم البلاد إلى مناطق إدارية تخضع لحكام أو ولاة منتدبين وعلماء ومفتين ووزراء من قبل الإمام، إلى جانب ذلك أقام حاميات في الثغور وخاصة في المناطق التي كانت القوات الشمالية تتسلل عبرها لمهاجمة أطراف الدولة للنهب والاستلاء، ولهذا الهدف لجأ الإمام عبد القادر إلى توطين بعض رجال اعيان القبائل ذات النفوذ والأسر المحاربة في بعض المواقع و طلب منهم التمركز في تلك المناطق الإستراتيجية مثل غجلن.[2]

3- وضع الإمام عبد القادر كان سياسة سكانية جديدة عرفت ب:(FeccereAlmaami) وتعني باللغة الفلانية "تقسيم الإمام"وتمثلت في توطين بعض

[1] محمد سعيد باه :دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة اسلامية على ضفاف نهر السنغال، المرجع نفسه، ص82.
[2] نفسه، ص 81.

الأسر الكبيرة في مواقع معينة كانت توجد فيها مساحات شاسعة بعض الشيء حيث لم تكن تلك المناطق آهلة بالسكان كما فعل مع أورربى نباجي سول، لكن الهدف هنا لم يكن أمنيا فقط كما هو الوضع في المناطق الحدودية وإنما كان يسعى إلى ملء تلك الفراغات إلى جانب استغلال الأراضي الزراعية الصالحة ويعني ذلك أنها كانت سياسية سكانية أمنية واقتصادية كما هدف إلى الدفاع عن السكان ضد النخاسين [1].

4- فإلى جانب توسعة رقعة الإسلام على المستوى الخارجي فقد تبنت الدولة داخليا سياسة تقوية الوجود الإسلامي وإيقاف موجة الردة والعودة إلى الوثنية التي كان حكم دينينكوبي يشجعها بصورة أو بأخرى، كما رأينا ذلك في الضغوط التي تعرض لها المسلمون على يد ستيغي سلي انجاي، وكان من نتائجها هجرة كثير من أهل فوتا تورو إلى مناطق أخرى [2].

وبفضل السياسة التي اتبعتها دولة الأكمة أمكنت أسلمة المنطقة % 100 خلال فترة قصيرة نسبيا، وتم القضاء كليا على جيوب الوثنيةالتي كانت تنتشر هنا وهناك، وبذلك أصبحت فوتا تورو المنطقة الوحيدة في السنغال التي ليس فيها أي وجود للمسيحية رغم تلك الجهود الجبارة التي بذلها الاستعمار الفرنسي بهدف إيجاد موطئ قدم للكنيسة في المنطقة، وهكذا بقيت الكنيستان اللتان بناهما في كل من ماتم وبدور شبه مهجورتين منذ رحيل الاستعمار [3].

5- فعلى المستوى السياسي دائما، يحسب لدولة الأئمة أنها أنشأت دولة بكل المقومات الضرورية أرسيت قواعدها على العدل وحماية الدين ورفاهية المجتمع وكان ذلك عملا نادرا في المنطقة، وخاصة أنها جاءت في سياق محاولة البعث الإسلامي بعد أفول نجم الدول والإمبراطوريات الكبرى التي عاشت في المنطقة ابتداء من غانا ومرورا بمالي حتى صنغي ، وتميز نظام دولة الأئمة بالقرب من الجماهير حيث أزال أبهة الملك ومظاهرها التي كانت تحول دون وصول الجمهور إلى مراكز السلطة، ووصلت الإمامة إلى ذلك من خلال نظام لا مركزي في

[1] إبراهيم صال، تعليقات على زهور البساتين، الترجمة الفرنسية، هامش رقم 24، ص 2780

[2] بسبب حركة الهجرة هذه ولد الإمام عبد القادر في أرض كجور أيام كانت أسرته لاجئة إليها .

[3] محمد سعيد باه، إستراتيجية مكافحة المد لكنسي في إفريقيا، نشر بعض أجزائه في مجلة الأمان البيروتية، 1993م، ص17.

الإدارة وجمع السلطات السياسية والدينية في شخص الإمام الجهوي، وباختصار كان نظام الإمامية يقوم على العدل وبعيدا عن الاستبداد.[1]

6- كان التعليم من أوسع المجالات التي نجحت فيها دولة الأئمة، وذلك من خلال السياسة التعليمية التي اعتمدتها في عدة محاور:

. محور الابتعاث، شعرت الدولة بحاجتها إلى العلماء فوضعت برنامجا لإرسال الطلاب إلى البلدان المجاورة للدراسة وخاصة كجور وشنقيط حيث سبق لكثير من قيادات الدولة أن درسوا، ولم تكتف الدولة بمجرد التشجيع وإنما اعتمدت ما يمكن أن نسميه اليوم بنظام المنح حيث كان الطالب يستطيع الاعتماد على الدولة في توفير احتياجاته كي يتفرغ للدراسة.

– المحور الداخلي، وفي هذا المجال وضعت الدولة برنامجا تعليميا كان عمليا بقدر ما كان ناجحا، وذلك عندما أنشأت سلسلة من الجوامع على طول البلاد وعرضها بلغ عددها "40"مسجدا موزعة في المدن الكبرى، وقد رفع بعض الباحثين العدد إلي (87)، بناء على خطة محددة؛ ولم يكن المسجد هنا بذلك المعنى التقليدي الذي أصبح عليه وإنما رجع إلى أصله مؤسسة ذات وظيفة مزدوجة وكان إلى جانب كل مسجد مدرستان أولاهما لتدريس القرآن الكريم من حفظوتجويد، بينما تختص الأخرى بالدراسات الشرعية من فقه وتفسير ولغة..... ووضع على رأس كل مؤسسة إمام من كبار العلماء يتولى إلى جانب الإمامة وظيفة القضاء والإدارة باعتباره الممثل الجهوي للإمام، وصل الأمر أن تبنت الدولة مشروع تزويد المساجد بأدوات النظافة من أباريق وغيرها وتعاقد مع عدد من الصناع لتنفيذ المشروع.

. وبهذا البرنامج انبعثت في فوتا حركة ثقافية لم تشهد البلاد لها مثيلا من قبل، فكانت تلك النهضة العلمية التي تجاوزت أصداؤها حدود المنطقة، فبقيت لفترة قرن آخر بعد سقوط الدولة، مصدرا للعلم والدين الأجزاء كثيرة من دول الجوار في الاتجاهين الجنوبي والغربي

[1] نفسه، ص18.

وبذلك استطاعت منطقة فوتا تورو انتزاع قيادة الحركة الثقافية من حوض نهر النيجر كما يرى كثير من الباحثين.[1]

. وثمة إنجاز آخر في الميدان الاجتماعي تمثل في ترشيح رجل المنصب الإمامة لا ينتمي إلى طبقة النبلاء ضمن اللائحة التي وضعها الشيخ سليمان بال في إطار سياسة الإصلاح الاجتماعي، في شخص الشيخ عبد الكريم الذي ينتسب إلى طبقة جاونبي (الوزراء والسفراء) اعتمادا على مؤهلاته العلمية والدينية، حتى وإن لم يتم انتخابه فمجرد ترشيحه كان بمثابة إنجاز [2].

. ويستدل هؤلاء على ذلك بقضية"عال دندوكان"الذي كان على رأس مجلس الحل والعقد وكان من أكبر بيوتات نبلاء فوتا ولم يكن له حظ من التعليم، ونتيجة لبعض تصرفاته قام الإمام بإيداعه السجن، أو عندما تستر بعض الأسر من النبلاء على جريمة تتطلب الحد وفجر ذلك تلك الشرارة التي دفعته وبعض حلفائه إلى تزعم حركة التمرد على سلطة الإمام وقتله في نهاية المطافه [3].

. وللمؤرخ الشيخ محمد عبدل راب رأي آخر وذلك عندما يذهب إلى أن من الدوافع الأساسية التي قادت إلى الانقلاب على الإمام عبد القادر، وبالتالي إحداث ذلك الشرخ الأول والخطير في جسم الدولة الإسلامية، الازدهار الذي أوجدته السياسة الناجحة والعادلة التي عرفته البلاد في ظل حكم الإمام عبد القادر ؛ "ولما فتح في أيامه الفتوحات كعل كور وبرك وهاير كال (انغال) وأهل بوب مسي في وال جنتنغ وأهل كلم (انغلم) (NGALAM) وكجاك (غجاغ) (GAJAAGA) أهل بند وغيرهم من سواحل بلاد

[1] محمد سعيد باه، إستراتيجية مكافحة المد لكنسي في إفريقيا، المرجع نفسه، ص20.

[2] عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، شوال 1406هـ، ص98.

[3] و للأسف الشديد فإن الباب الذي فتحه الشيخ سليمان بال قد أغلق بسرعة حيث لم يتول من بين الأئمة ال: (39) الذين تعاقبوا على سدة الحكم في فوتا تورو خلال أكثر من قرن وربع أحد ينتمي إلى غير مجموعة "توربي".

المغرب وكثر فيها الخيرات والأموال وبطرت الرعية وتفرقوا وأخذوا ينقمون على خليفتهم..."[1].

وبالفعل فهذه ظاهرة اجتماعية متكررة وقد عرفتها الأمة الإسلامية مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد حذر منها أمته وسماها مرحلة انفتاح الدنيا "أن تفتح عليكم الدنيا".

المبحث الثالث: انعكاسات الدولة الامامية على المستوى الداخلي

ورغم هذه القطيعة التي حاول الاستعمار والمتأثرون برؤيته الحضارية إحداثها، فقد ترك قيام الدولة آثارا بعيدة الغور في تكوين وصيرورة المجتمع الفوتي المعاصر اجتماعيا، دينيا، ثقافيا، سياسيا...

المطلب الأول: على المستوى الديني والاجتماعي

فعلى المستوى الاجتماعي، رغم ظاهرة الطبقية المقبولة اجتماعياء وانتعاش الرق بفعل تلك الحركة الجهادية التي قادها الحاج عمر الفوتي تال خارج المنطقة، أنتجت تجربة الأئمة بناء مجتمع متماسك لا يزال يحافظ على قدر من التوازن الدقيق الذي أمكن إيجاده وإن لم يؤد ذلك إلى القضاء على بعض السلبيات الاجتماعية بصورة نهائية استطاع المجتمع الفوتي الحفاظ على تلك البصمات التي تركتها فيه دولة الأئمة والتي تظهر في علاقاته الداخلية ونمط الحياة والمعايير التي تحدد السلوك العام الذي لا يزال يخضع للضابط الأخلاقي الصارم فبقيت للقيم تلك السلطة الواسعة التي لا يمكن المساس بها دون إثارة ردة فعل غاضبة من المجتمع [2].

ومن المجالات التي حافظ فيها المجتمع الفوتي على تلك القيم التي نشرتها دولة الأئمة، ميدان التكافل الاجتماعي حيث بقي المجتمع متعاضدا متعاونا في نطاقي الأسرة الكبيرة والمجتمع المحلي، وبالتالي يستنكف المجتمع الفوتي أن تعتمد التعاملات على عامل المنفعة في أضيق

[1] مصدر مهم في تاريخ فوتا تورو وقد ضاع الأصل ويشير إليه كل من سرى عباس سه وموسى كمارا الذي يقول بأن الكتاب ضاع في دكار بعد أن قدم إلى أحد التجار رهنا.

[2] ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه قد جرت العادة إلى وقت قريب أن المرأة التي تحمل سفاحا تضطر إلى الهجرة هائيا.

نطاق ويتضح ذلك في ظاهرة كفالة الطلاب بالآلاف من حيث السكن والمعيشة بدون مقابل لسنين عديدة [1].

وفي المجال الديني تركت التجربة آثارا غائرة ولا تزال تتبلور، وإن بشكل متقلص بالمقارنة مع ما كان عليه الوضع حتى السبعينات من القرن الماضي، ولا غرو في ذلك إذا تذكرنا أن العامل الديني كان العنصر الأول لقيام التجربة ،وكانت النتيجة الأولى أسلمة المجتمع الفوتي 100%وذلك بالقضاء على جيوب الارتداد إلى الوثنية التي كانت قد بدأت تنتشر في المنطقة منذ القرن السادس عشر، ورغم وجود القاعدة الأولى للاستعمار الفرنسي على حدود الدولة الغربية فإن المجتمع الفوتيأبى أي تسلل لوجود ديني آخر إلى المنطقة، وتكاد هذه الظاهرة تعم المناطق التي تسكنها قبائل الفلان المتأثرين بدولة الأئمة وغيره من التجارب الإسلامية في مختلف المناطق بغرب أفريقيا. [2]

المطلب الثاني: المجال السياسي

أما الميدان السياسي فيكون من الصعب اليوم العثور على أثر واضح لقيام دولة الأئمة للأسباب التي سبق شرحها، وخاصة أن الاستعمار الفرنسي الذي حل محل النظام الإمامي لم يكن من مصلحته الإبقاء على أي أثر سياسي لذلك النظام الذي كان يرى فيه تهديدا خطيرا، ليس في هذا النظام فحسب، وإنما في كل ما يمت إليه بصلة كما كان الحال بالنسبة لكل من المجاهدين الحاج عمر الفوتي والإمام أحمد سامري توري اللذين كان هذا الاستعمار يرى فيهما خطرا على مصالحه بل ووجوده في كل غرب أفريقيا .[3]

---

[1] قد يستغرب من يراقب المجتمع الفوتي عن بعد أن يعرف أن هذا التقليد الإسلامي لا يزال حيا إلى اليوم، فعلى سبيل المثال تضم مدرسة بكجوى الشرعية، والتي تأسست منذ عام 1802م واستمرت في العطاء، تضم اليوم حولي (1400) طالبا يكفلهم الأهالي محانا وأغلبيتهم من البلدان المجاورة وفدوا للدراسة.، علما بأن في المنطقة عشرات من المدارس القرآنية والشرعية تسير على هذا المنوال .

[2] ومن المؤسف أن نلاحظ ضمور البعد الدعوي في الاتجاهات الصوفية التي أصبحت اليوم مجرد أطر خاوية لا تؤدي أي دور إصلاحي يستحق الذكر وذلك على خلاف النهج الجهادي والدعوي الذي كان الخط البارز في الاتجاهات الصوفية التي عرفتها المنطقة حتى منتصف القرن الماضي تقريبا.

[3] محمد سعيد باه، إستراتيجية مكافحة المد لكنسي في إفريقيا، المرجع السابق، ص89.

ومع ذلك ظل أهل فوتا يحتفظون ببعض المظاهر التي تذكر بذلك العهد المجيد من ذلك الإبقاء على وظيفة عمدة القرية والتقسيم الذي اعتمدته الدولة لترسيم الحدود الداخلية والمناطق رغم استحداث الاستعمار، عندما تمت له الهيمنة، نظام المحافضات والدوائر والمقاطعات، وحتى الألقاب السياسية تم الاحتفاظ بها حتى الآن ، وبعد المجال الديني يمكن اعتبار الميدان الثقافي العلمي، أوسع المجالات التي يظهر فيها أثر قيام دولة الأئمة في المجتمع الفوتي المعاصر، وقد يعود ذلك إلى تلك السياسة التعليمية الرشيدة التي اعتمدتها واشتملت على برامج عدة:ابتعاث الطلاب، فتح مدارس، رعاية العلماء وإسناد المناصب السياسية إليهم، نظام المنح...

تورد المصادر بأن الدولة تبنت سياسة تقوم على بناء مسجد جامع في كل بلدة يبلغ عدد سكانها أربعين رجلا، حتى وصل عدد المراكز التيأنشئت إلى 87مركز ، وبناء على إحصاء ميداني تم في التسعينات من القرن الماضي، بلغ عدد المجالس العلمية الكبيرة التي تنتشر في المنطقة حوالي (40) ما بين قرآنية وشرعية، وليس من بينها الكتاتيب التي تعلم الصغار، وفي إحصاء آخر جرى القيام به سنة 1960، ثبت أن نسبة من يستطيعون القراءة والكتابة بالعربية في المنطقة تصل إلى 25% في كل قرية بينما تنخفض هذه النسبة في الأماكن الأخرى إلى (4-5) أشخاص فقط [1]

وأما في المحور الخارجي فنجد آثار قيام دولة الأئمة تتبلور في اتجاهات ثلاثة

– السياسة الجهادية والدعوية التي تبنتها الدولة خلال أكثر من نصف قرن وكان من نتائجها توسعة رقعة الإسلام والقضاء على تلك الإمارات التي كانت تناوي الوجود الإسلامي فأصبحت تلك المناطق من الأماكن التي يسيطر عليها الإسلام حتى الآن. ا .

كما انعكست سياسة الدولة الإسلامية من خلال حركة الهجرة باتجاه مناطق مختلفة في فوتا وآثار تلك الهجرات تتمثل اليوم في تلك الأسر التي استوطنت المنطقة ويمكن تمييزها بسهولة من خلال ألقابها وأصولها العرقية رغم انصهارها الاجتماعي و الثقافي واللغوي الكامل.[2]

[1] عبد القادر محمد سيلا، المصدر السابق، ص 115.

[2] محمد سعيد باه، إستراتيجية مكافحة المد لكنسي في إفريقيا، المرجع السابق، ص90.

الأثر الخارجي، وبالنظر إلى السياق الذي قامت فيه الدولة في المنطقة والتطورات التاريخية التي سبقت ورافقت ذلك، نلاحظ وجود فراغ هائل على المستويين الديني والسياسي بالمحيط الخارجي، وذلكبعد سقوط تلك الإمبراطوريات والإمارات الإسلامية التي قامت بمختلف مناطق غرب أفريقيا.[1]

وفضلا عن تلك العلاقة التي كانت تربط بين دولتي الأئمة في كل من فوتا تورو وفوتا جالون، نعثر على قرائن تاريخية تؤكد أن حركات جهادية أخرى تأثرت بتجربة فوتا تورو ونختار من هؤلاء عثمان بن فودي ده في نيجريا الذي نجح في إنشاء دولة إسلامية مزدهرة، بعد حركتي الإصلاح والجهاد، امتدت حدودها من شمال نيجريا الحالية إلى مالي الحديثة وكانت أكبر دولة إسلامية، في العصر الحديث، قامت في أفريقيا من حيث المساحة والفترة الزمنية، ومع ذلك يرى بعض الباحثين بأن دولة صكتو قامت بوحي من الحركة الإمامية التي قامت بوادي نهر السنغال ،كما يؤكد ذلك مؤرخ آخر حيث يقول بأن أخبار قيام فنيي حوض نهر السنغال بثورة مكنتهم من الاستيلاء على السلطة قد وصلت إلى صكتو ،كما نجد إمكانية تأثر مؤسس الخلافة الإسلامية في صكتو، كما يطلق عليها في أدبيات القادة الجهاديين، وبعض أعوانه وخلفائه، في تلك النبرة المتكررة في كتاباتهم حيث يؤكدون على انتسابهم إلى فوتا تورو ويصل الأمر إلى حد التفاخر ،أما المحور الثالث فهو الذي يمثله الجيل الدعوي الذي لم تتح له الظروف الضاغطة من الوصول إلى مرحلة الجهاد المسلح، لأن ظهوره تم في الوقت الذي كان فيه الاستعمار الفرنسي يجثم على الصدور بعد أن أحكم قبضته على المنطقة بأسرها، فآثر هؤلاء سلوك النهج التربوي بين مهادن سياسة ومقارع مضطر.[2]

وفي هذه المرحلة أيضا نلمس آثار دولة الأئمة حيث كان جميع القادة والعلماء الذين تسلموا راية نشر الإسلام والثقافة الإسلامية ممن خرجوا من فوتا تورو، وهوالأمر الذي دفع إلى القول بأن فوتا تورو أصبحت بعد تجربة الأئمة المصدر الذي يمد بقية المناطق بالعلماء

[1] المرجع نفسه، ص92،

[2] أبو بكر خالد باه، رسالة الإسلام،المصدر السابق،ص78.

وكبار رجالات السياسة والفكر والحرب من الطراز الأول أمثال الحاج مالك سي وأحمد بمبا وموسى كمارا [1].

[1] المصدر نفسه، ص84.

خاتمة

الخاتمة:

تمثل دولة الأئمة نموذجا جميلا لدولة المعرفة أو يمكن وصفها بأنها كانت دولة الفقهاء، وقد قال عنها آخر بأنها كانت جمهورية انتخابية على أساس الدين.

وعرف عنها منت خلال المصادر و المراجع بانتشار العدل و المساواة بين الناس و إقامةالأمن، و كان الأمراء يقيمون الحدود الشرعية ، كما قاموا بتشييدالمساجد التي تؤدي فيها صلاة الجمعة في جميع أنحاء الدولة و تشجيع حركة التعليم، حيث كانوا يقفون خلف دعم المدارس القرآنية و طلبة العلم.

وكما حاربت الدولة بيع الرقيق، و بعث أمراؤها برسائل قوية إلي الفرنسيين الذين كانوا يمتهنون تجارة الرقيق، و من أشهر المراسلات في هذا المقام رسالة الأمير عبد القادر كن للمفوض التجاري الفرنسي في مدينة اندر، و التي يقول فيها:'' نحن نحذركم بأن كل أولئك الذين سيأتون إلينا من اجل ممارسة الرقيق سيقتلون، و كذلك الحال إذا لم تعيدوا إلينا أبنائنا الذين في أيديكم، نحن لا نريد إطلاقا أن تشتروا المسلمين لا من قريب و لا من بعيد.''

كانت هذا وذاك، لكنها بالدرجة الأولى كانت دولة تملك مقومات الدولة وأدت رسالة الدولة من المنظور الإسلامي وهنا سر نجاحها ومكمن نموذجيتها.

الملاحق

الملحق رقم01:

أولا/ قائمة أسماء الأئمة الذين تعاقبوا على سدة الحكم في دولة الأئمة بفوتا تورو

م	الاسم	البلدة	الفترة	ملاحظة
١	الإمام عبد القادر كن	أبى/ كبل	١٧٧٦-١٨٠٥	قتل في مؤامرة داخلية بدعم من الخارج
٢	الإمام مختار كديج تلاّ	سنتيو بممبي	سنة واحدة	أقيل
٣	الإمام حماد لمين بال	بودي	٣ سنوات	فضل التنازل عن المنصب

				طواعية
٤	الإمام يوسف سري تفسير له	جابا دكلي	٣ سنوات	ولى المنصب (٩) مرات وبلغ مجمل السنوات (١٣)
٥	الإمام بوبكر لمين بال	بودي	(٣) سنوات	جاء بعد الإمام يوسف في خلافته الأولى
٦	الإمام آل تشيرن إبرا ون	امبمبا لاو	سنة واحدة	جاء بعد أن شغر المنصب لمدة سنة في رواية .
٧	الإمام أحمد بابا له	أوغو	سنة واحدة	بعد الإمام يوسف
٨	الإمام سري أحمد بابا له	أوغو	سنة واحدة	تولى المنصب مرتين
٩	الإمام سري حسن توري	هايرى لاو	سنة واحدة	أقيل من منصبه وكان معروفا بتحري العدل
١٠	الإمام بوبكر مودبو كن	دوندو	= = =	وقد جاء بعد الإمام يوسف ، وقد تم خلعه

١٤	الإمام محمود كمب ني جه (محمود سري مالك)	آنيم ور سِري	سنة واحدة	تولى المنصب مرتين .
١٥	الإمام بابا له تفسير بغل	جابا	أربع سنوات	= = =
١٦	الإمام أحمد بابا له تفسير	جابا	نصف سنة	=
١٧	الإمام محمد بران ون	امبمبا لاو	ثلاث سنوات	تولى المنصب خمس مرات
١٨	الإمام سري آل ون	امبمبا لاو	سنة ونصف	
١٩	الإمام سيبويه له	أوغو	بضعة أشهر	
٢٠	الإمام محمد محمود كمب ني جه	أنيم ورسري	سنتين	
٢١	راسن محمود انجاتش	مدين انجاتشبي	بضعة أشهر	تولى المنصب مرتين
٢١	الإمام أحمد حماد سه	بتي		كانت خلافته بعد أن شغر لمنصب لشهور ، وتولى المنصب مرتين .

م	الاسم	البلدة	الفترة	ملاحظة
٢٣	الإمام مصطفى به	هوري فوندي	بضعة أشهر	
٢٤	الإمام الحسن بر	هاير لاو	بضعة أشهر	
٢٥	الإمام أحمد بران ون	امبمبالاو	بضعة أشهر	
٢٦	الإمام محمد إلمان مالك	بابا بي	بضعة أشهر	شغر المنصب بعده لمدة سنة

١٠٢

	به			
٢٧	الإمام راسن سلّ تلّ	سنتيو بممبي	سنتين	تولى المنصب مرتين
٢٨	الإمام ساد تفسير بابا ون (ساد إبرا)	امبمبا لاو	سنة ونصف	تولى المنصب مرتين
٢٩	الإمام محمد محمود بال	غلير	سنة واحدة	= = =
٣٠	الإمام مالك أحمد تِيام	جابا	سنتين ونصف	
٣١	الإمام انجاي على برو	جابا	سنة واحدة	تولى المنصب مرتين
٣٢	الإمام محمد بد له	أوغو	ثلاثة أشهر	
٣٣	الإمام محمد الأمين له	بتي	سنتين	
٣٤	بوب آب له	جابا	عشر سنوات	تولى المنصب مرتين ، وكان شبه ممثل للفرنسيين ، وبموته دخل الاحتلال الفرنسي الفعلي والكامل لأرض فوتا تورو حيز التنفيذ

المصدر: محمد سعيد باه: دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال, ص100.

الملحق 02:

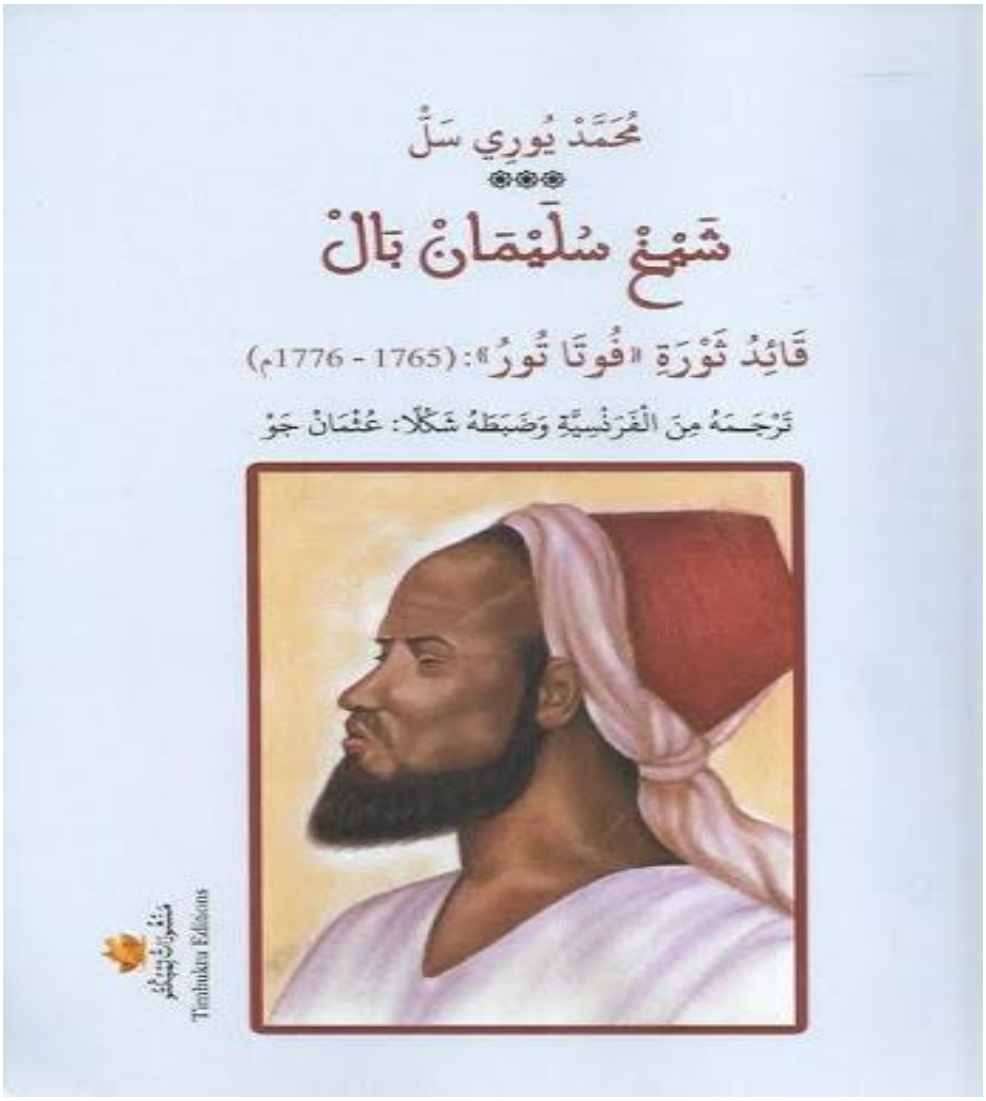

1

[1]- http://www.justemilieu.sn

الملحق 03:

1

[1]- http://www.justemilieu.sn

الملحق 04: الشيخ عمر الفوتي

Cheikh Oumar Foutyou Tall

[1]

[1]- http://www.justemilieu.sn

الملحق 05:الخريطة السياسية لمنطقة فوتا تورو(السنغال حاليا)

1

[1]- http://www.justemilieu.sn

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع:

أولا/: المصادر

1. أبوعبيد البكري: المسالك والممالك, تحقيق وتقديم أدريان فان لوفن وأندري فيري, ج2, الدار العربية للكتاب, تونس, 1992م.

2. الحاج موسى أحمد كامره: زهور البساتين في تاريخ السّوادين, تح ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني, مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري, الكويت, 2010م.

3. الوزان حسن: وصف إفريقيا, تر محمد حجّي, محمد الأخضر, ج 1, ط2, دار العرب الإسلامي, بيروت لبنان, 1983م.

4. كعت محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي: تاريخ الفتاش في أخبارالبلدان والجيوش وأكابرالناس ووقائع التكرور وعظام الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار, ط: هوداس, باريس, 1964م.

5. موسى كامره: المجموع النفيس سراً وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية, مخطوط رقم (5و 6), المعهد التأسيسي الإفريقي, جامعة دكار.

ثانيا/: المراجع

1. ابن الأثير علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة, ج3, دار الفكر بيروت, 1989م.

2. أبو بكر خالد باه: تاريخ تطور الثقافة الاسلامية بوادي نهر السنغال, بحث غير منشور, د.د.ن, د.س.

3. الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان دراسة وثائقية, ط2, 2007.

4. سري عباس سه: تاريخ فوتا السنغالية, مخطوط في حوزة الباحث, تر, المستشرق مانرى غاندين, معهد السلالات, باريس, 1935م.
5. صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين, دار الكتاب الجديد, بيروت , 1963م.
6. عبد القادر محمد سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل, كتاب الأمة, الدوحة, 1406هـ.
7. عبدالقادر سيلا: منعطفات الصحوة الإسلامية في الساحل السنغال نموذجا, مكتب الدعوة والدراسات والبحوث الاسلامية, د. م, د.ت.
8. عمر باه: الثقافة العربية والاسلامية في الغرب الافريقي , ط1, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1992م.
9. محمد سعيد باه: استراتيجية مكافحة المد الكنسي في افريقيا, نشر بعض أجزاء منه في مجلة الأمان البيروتية, 1993م.
10-أبوبكر خالد باه: نبذة من تاريخ فوتا السنغالية, مطبعة الرسالة, القاهرة, 1965م.

المجلات:

1 علي الخاتم: الاسلام في السودان الغربي, مجلة دراسات افريقية, العدد 1, المركز الاسلامي الافريقي, الخرطوم, 1985.
2 علي يعقوبي, الدولة الامامية في فوتاتورو ودورها في نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية, **مجلة قراءات افريقية**العدد 9.

حوامل إلكترونية:

محمد سعيد باه: دولة الأئمة في فوتا تورو تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال.

المراجع الأجنبية:

1. _ Baila wane,Le Fouta Toro de Ceerno Suleyman Baal a la fine de la fine de l' almamiyat(1770-1880)
2. TamsirOusmaneBâ, SekeneModyAmoko, Histoire du Sénégal, Nouvelles Edition Africaine, Dakar- Abidjan, 1989.
3. Oumar Ba, Le Fouta Toro Au Carrefour des cultures, L'harmattan, PARIS.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن
- فهرس المحتويات

فهرس الأعلام :

. الشيخ بوبو كاسم

. أسكيا محمد

. دالا فوس

. كولي طنقيلا

. لام تورو صال

. مختار ولد بون الجنكي

. موسى كمرا

. عبد القادر كن

. عبد الله بن فودية

. عمر كان

. عمر فال

. سليمان بال

. سلي انجاي

فهرس الأماكن :

. بند

. تنبكتو

. تراروة

. جبال برقة

. جزيرة سناء

. جيني

. نغال

. فوتا تورو

. سلا

. هاري

. ولاتة

. وادي السوس

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	/
شكر و عرفان	/
مقدمة	**01**
المدخل	04
الفصل الأول: التعريف بمنطقة فوتاتورو "السنغال حالياً"	
المبحث الأول: المحيط الطبيعي والجذور التاريخية	**09**
المطلب الأول: المحيط الجغرافي	**09**
المطلب الثاني: الإمتداد التاريخي	09
المبحث الثاني :الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والوضع الثقافي والحضاري في بلاد تكرور قبل مجيء الإسلام ونشوء الدولة الأمامية	**12**
المطلب الأول: الوضع الاقتصادي والاجتماعي قبل مجيء الإسلام	**12**
المطلب الثاني : الوضع السياسي والثقافي والحضاري قبل	**15**
المطلب الثالث : الوضع السياسي والثقافي والوضع الديني والاقتصادي بعد	**17**
المبحث الثالث : ظروف نشأة الدولة الأمامية	23
المطلب الأول : حركة الشيخ سليمان بال والعوامل المساعدة	**23**
المطلب الثاني : حكم دينينكو في نشأته وتطوره	**29**

المبحث الرابع:مرحلة إنتقال الحركة إلى دولة	**31**
المطلب الأول: الآليات التي اعتمدها الشيخ سليمان بال	**31**
المطلب الثاني: أبرز الأئمة وطبيعة نظام ام	**35**
أولاً: الشيخ المجاهد سليمان بال بن راسن	**35**
ثانياً: الشيخ عبد القادر كن الإمام العلم والمجاهد	**36**
ثالثاً: طبيعة نظام الحكم	**37**
الفصل الثاني:الدولة الإمامية من التنظيم الى الممارسة	
المبحث الأول: قراءة في ميثاق الدولة الأمامية	**39**
المطلب الأول:شروط اختيار الإمام	**39**
المطلب الثاني: التنظيم الدستوري	**39**
المبحث الثاني: التحديات والإنجازات	**46**
المطلب الأول: التطورات الداخلية والخارجة	**46**
المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية	**48**
المبحث الثالث: إنعكاسات الدولة الإمامية على المستوى الداخلي	**55**
المطلب الأول: على المستوى الديني والإجتماعي	**55**
المطلب الثاني: في المجال السياسي	**56**
الخاتمة	**60**
الملاحق	**63**
قائمة المصادر والمراجع	**71**

فهرس الأعلام	75
فهرس الأماكن	76
فهرس المحتويات	77

ملخص:

يرجع تأسيس دولة الأئمة في منطقة فوتا تور الي منتصف القرن الخامس عشر ميلادي، و إن كانت الجذور الإسلامية بالمنقطة ترجع الي اقدم من ذلك.فالديانة الغالبة لأهل المنطقة قبل بزوغ فجر الإسلام كانت هي الوثنية، كما يتضح من الدراسات البحثية المتعلقة بتاريخ مملكة تكرور التي تعتبر فوتا تورو وريثها, وبالرغم من الهزات و النكسات التي تعرض لها الوجود الاسلامي الطلائعي بشمال افريقيا، استطاع الإسلام التغلغل ليعبر الصحراء قبل انصرام القرن الأول كما تؤكد ذلك شواهد تاريخية عدة، فهناك رواية تاريخية قوية تقول بأن معاوية ابن سفيان(رضي الله عنهما) قد أرسل بعثة عسكرية الي المنطقة و استطاعت التغلغل فيها, ومن الإنجازات الكبيرة التي تركت أثرا في الحياة السياسية للدولة احترام آلية اختيار الإمام التي وضعها الإمام سليمان بال مؤسس الدولة ، إذ طالب السكان الالتزام باختيار الإمام المقبل على أساس معاير شورية ، فلم يكتفي بوضع شروط الاختيار و اعتماد البيعة صيغة للتنصيب، و إنما اتبع المنهج الذي وضعه الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب للخلافة من خلال حصر اختيار خلفائه في مجموعة من القيادات، من بينهم الأمير عبد القادر كن، الذي آلت إليه الخلافة لاحقا,وتميزت الدولة الإسلامية بفوتا تورو بانتشار العدل و المساواة بين الناس و إقامةالأمن، و كان الأمراء يقيمون الحدود الشرعية ، كما قاموا بتشييد المساجد التي تؤدي فيها صلاة الجمعة في جميع أنحاء الدولة و تشجيع حركة التعليم، حيث كانوا يقفون خلف دعم المدارس القرآنية و طلبة العلم.

Abstract

The Almamiyat State of Futa Toro was founded by Suleymane Baal in 1720, in what is modern Senegal after the collapse of the learning centres in West Africa by the late 16th century and the spread of ignorance and social inequities. The emergence of the Almamiyat State came to fight against these social problems.Thedissertation deals with the Almamiyat State of Futa Toro; its foundation, leaders and achievements with a special focus its constitution. The main findings of this research can be summarized in the following. Concerning the constitution of the

Almamiyat State, first, Suleymane Baal initiated the principle of limiting the ruling terms to two mandates, a principle adopted by most of the modern constitutions. Second, the principle of public expenditure control, Suleymane Baal established as a control system to follow up and ensure the government's reasonable expenditure. In the same context, he recommended the disqualification of the ruler in case he makes an unjustified fortune. Third, Suleymane Baal called for the emancipation of slaves, he was the pioneer to ban slavery and slave trade even before the European colonial powers and America.

Keywords: Almamiyat State, Futa Toro, ThiernoSuleymane Baal, Reformist movements